الغوادر

-1-

مجموعة قصصية

مراد داؤد

تصميم الغلاف : م.علاء مراد داؤد
تدقيق لغوي : أ. أحمد علي زهرة

مقدمة

عندما شرفني الأديب مراد داؤد بأن أقرأ مجموعته القصصية "الغوادر" وأن أضع لها مقدمة ، انتابني قلقٌ غامض لم أعرف كنهه.

لكنني وبعد أن بدأت بالقراءة ، شعرت بأنني ألج مع الكاتب دواخل النفس البشرية ، وأكشف معه الجوانب الشيطانية والتي طغت على الجانب الإنساني ، وعدت أنبش خزان معرفتي لأجد ان التاريخ البشري فيه الكثير من حالات غدر الإنسان لأخيه الإنسان ، وكيف يأكل لحمه نيئاً.

وأنا في غمرة متعتي بقراءة السطور التي أبدعها قلم الاديب ، استطاع بحسه الفني أن يرسم وبدقة العوالم الداخلية لشخوص قصصه ، حتى بتفاصيلها المجهرية ، كما في رواياته الطويلة التي سبق أن قرأتها وأبهرتني وأمتعتني ، وأنا في هذه الغمرة الماتعة تناهى إلى سمعي صوت من أعماق التاريخ يطلع من غياهب ذلك الجب في تلك الصحراء النائية ، كانت صرخة نبي صغير يعلن فيها براءة الذئب من دمه ، وبأن لأخوته أنيابٌ أطول وأقسى من أنياب الذئب.

أمين الخطيب

(1- حسّان)

هناك حيث تلامس هبَّات النسيم الهدب الناعسة المتكئة على تلك السلسة الساكنة من جبال مرَ عليها من الحقب الشيء الكثير. تربعت قرية هادئة مسندة ظهرها إلى السفح الطري الناعم بانحداره باسطة كلتا يديها يميناً ويساراً لتلامس الشفق والغسق عندما تحين ساعة مثولهما الإلهية على بقاع من هذه الأرض التي كلفت خالقها قدراً كبيراً من العناية لتكون على هيئة أرضته فقرر أن يتركها ليأمر بها كائن خلقه على هيئته ووكله عليها.

قطن هناك كهلان في منزل متواضع ذهب ربيع عمرهما وبعض من خريفه، ولم يبق من ذاك السجل السرمدي إلا القليل، وكانا قد وصلا لمرحلة اليأس من أن يمنحا تلك المنّه التي وحسب ظنّهما وكل من ساواهما في الطبيعة صفه دوام الذكر إلا أن مشيئة القدر قد أذنت بذلك ورزقا بمولود ذكر سرَا به كثيراً حتى صار محور حياتهما وبالتالي كل محبيهما، كبر الغلام وصار شاباً في سن الزواج عندها بدأت تلك المعزوفة المتوارثة في كل المجتمعات نريد أن نرى اولادك نرغب في ضمّهم إلى صدرنا، وأن نكحّل أعيننا برؤيتهم .

رضخ الشاب لمشيئة والديه ومن آزرهم لذا تشكلت حلقات من العمّات والخالات وأقرب المقربات، وتوّلت كل مجموعة منها البحث عن عروس المستقبل، وبعد طول عناء توصّلت إحدى تلك الفرق إلى طرف يوصلهم إلى ضالّتهم وكانت إحدى القريبات متزوجة من رجل تربطه صلة قرابة نسائية بالعائلة، وكانت تقطن قريةً بعيدة قليلاً عن قريتهم.

تجهّزت لتلك الرحلة بضع نساء من ذوات الخبرة في مثل هذه الامور حملت الهدايا كواجب اجتماعي درجت العادة على القيام بها في مثل تلك المجتمعات.

هللت القريبة مرحبة بوفد الأهل الحامل لرائحة الديار المحببه إلى كل من شاء القدر ان يبعده عنها لأيّ سبب كان وبعد فترة استراحة قضينها في تذكر ما كان قد فات تجهزن ومشين باتجاه الهدف وكان منزلاً متواضعاً تقطنه اسرة متوسط الحال كمعظم سكان المنطقة

بعد وصلة الترحيب المعتادة قادتهم ربّه المنزل إلى غرفة تتوسّط المنزل تطلّ على فسحه داخلية حوت شجيرات منزلية تمنح النفس طمأنينة نابعة من راحة داخلية تتمدد من خلالها النفس لتشمل كافة انحاء الجسد مفسحةً المجال لتلك العضلة المبدعة المسماة لسان بالتحرك والانطلاق، تّم تجهيز الفتاة التي كانت منهمكةً بأعمال اعتادت على القيام بها. قدّمت القهوة للزائرات

اللاتي صدمن إيجابياً من تلك المسحة الربانية التي كرسها الخالق في ذاك الوجه الوضاء .
أنهت الفتاة مهمتها وغادرت دون أن تنبث ببنت شفه وحمرة الحياء بادية على وجنتيها
طلبت كبيره الوفد يد الفتاة من والدتها التي آثرت عدم الرد فوراً بغية استشارة والدها وإخوتها وبعد جولة من الحوارات شملت أطراف عدّة من الدائرة الصغرى من الأقارب، تمّت الموافقة حيث أبلغت قريبتهم بالأمر الذي قامت بدورها بزفّه لأهلها من طريق أحد أولادها الذي قامت بإرساله في هذه المهمة .
بعد إتخاذ كل التدابير توجه بعض من أفراد العائلة برفقه بعض من وجهاء القرية ومن لهم الحظوة الاجتماعية في القرى المجاورة قاصدين منزل آل العروس
تمت كل الإجراءات المعتادة حيث طلبت الفتاة رسمياً ،وبعد ذلك تمّت قراءة الفاتحة التي سبقها بعض معلومات عن تفاصيل المهر وما شابه ذلك قام شيخ القرية بتسجيلها في دفتر صغير كان بحوزته وفي اليوم الثاني سار موكب العروس التي أجلست في المقعد الخلفي لسيارة تمّ تزيينها بأشرطة ملونة وبعدها تبعها البقية مستقلين عدة سيارات، وكان من ضمن الموكب بضع نساء من أقارب الفتاة لضمان سلامة دخولها عالماً جديداً كل الجدة عليها .

اجتمعت القرية باسرها احتفاءً بالقادمة الجديدة، وكان في مقدمه المستقبلين العريس الذي حمل على أكتاف خلّانه من رفاق عمره، وأقيمت في ساحة القرية للعروسين حفلة مميزة اختتمت بوليمة عشاء تشارك الجميع في صفها وترتيبها وتوزيعها

انقضت السهرة إذ كلٌ تابط ذراع زوجته وغادر عائداً إلى منزله وفي قرارة نفس كل منهم امنيات أحبّ أن ينالها العروسان.

في الصباح الباكر استفاق العروسان ليتجهزا لاستقبال وفود المهنئين، و كان قد سبقهم إلى ذلك الوالدان اللذان أعدّا كل شيء .

وكان من بين المهنئين رجلٌ كانت حيويته بادية على محياه، وقد عرف أنه كان مزواجا .

لفت جمال العروس نظره كبقية أهل القرية من رجال ونساء لذا قرر وضعها على سلم أولوياته عندما تحين الفرصة للوصول لها مهما كلف الثمن .

وكان من شدة جمال تلك الوافدة الجديدة أن نساء القرية تحسبوا للأمر خشية أن تلفت انتباه أزواجهم لذا صارت كل منهن تعد الخطط لمنع حدوث ذلك .

وكان للعريس ابن عم طالب جامعي وسيم وطليق اللسان، وكان من رفاق طفولته منذ أن كانا يلعبان في الصغر حتى مرافقتهما لبعضهما بعضاً في الذهاب

والإياب من المدرسة وكذلك في كل المهمات التي كان كلاهما يكلفان بها.

إلا أن إحسان العريس كان قد أنهى مرحلة التعليم الإعدادي وتفرغ لمساعدة والديه في كل مجالات العمل من تربية ماشية وأعمال حقلية وما يتعلق بها.

كان احمد يحضر لزيارة قريبه كلما سمحت له الظروف وبالأخص أثناء العطل الرسمية واستراحة مابين فصول الدراسة، وكان يمضي وإياه معظم وقته بحضور زوجته الفاتنة إلى أن أزيلت كل العقبات وصارت علاقتهما أكثر بساطة.

أحس أحمد بأنه قد بدأ يثير انتباه زوجة أبن عمه، ولتلك الغريزة الكامنة في داخل كل إنسان طغت الأنانية على العقل، وأطلقت العنان لفكر شيطاني كي يحيك ذاك الشراك المهلك الذي يؤدي إلى عاقبة و خيمة وعلى الدوام.

تبادلا النظرات في البداية، ومن ثم الاشارات، ومن ثم بدأ الغمز واللمز لدرجة صار يتذرع بحجج عدة كي يخرج وراءها إن غادرت مكان جلوسهم، تطور الامر لمرحلة اللمس ابتداءً بكف اليد عن غير قصد أولاً وما لبث أن صار مقصوداً وكونها لم تمانع بل تجاوبت معه بخبث تلحف بحياء مثير.

دام الامر على هذا المنوال حتى انبرى إبليسهما صارخاً ها أنذا عندها قرّرا الالتحام تحت راية ذاك

الملاك المتمرد. وبدأت جولات الضمّ واللثم والمداعبة التي حركت ناراً كامنه في جمرٍ تحت رمادٍ كثيف من قيودٍ صُبّت قسراً في بوتقة العادات والتقاليد والكبت الناجم عنهما ووقعت الواقعة وبسرعة فائقة في مطبخ المنزل وبعد الصحوة من تلك الغفلة قررا التواصل ضمن المنزل وفي اماكن عدة من القرية .

وكما أنها أثارت حفيظة المتزوجات شدت انتباه العازبات لذا صرن يتوددن لها ويقمن بزياراتها بشكل دوري الأمر الذي فرض عليها رد تلك الزيارات ما أثار حفيظة الذكور من الشبان، وكان أشد أولئك ذاك المتصابي زوج الاثنتين إذ كان حاله يتغير رأسا على عقب كلما علم بأمر زيارتها لمنزله ولتكرار الزيارات والتعامل المباشر الاثر الفعال في دفعه للتجرؤ والتعبير عن مشاعره بوسائل عدة إلا ان الصد والرد كان له بالمرصاد كبقية الرجال كونها قد كرست كل عواطفها وجميع أحاسيسها لعشيق واحد استولى على كيانها، وكان كل شيء يتمّ بغفله من الزوج الذي كان يمضي جلَ وقته بالعمل ليؤمن لعائلته رزق يومهم وبالأخص عندما صار والداه بحاجة لمن يعيلهما، وكان يخفف عليه وطاة ذلك لطافة زوجته وتعاملها مع كل ذلك بشكل إيجابي لذا صار الأمر طبيعياً ولا يكلفهما من الجهد إلا القليل، كيف لا وهي التي اعتادت ذلك مذ كانت تتحمل اعباء منزل اسرتها التي تعتبر أكثر عدداً.

إلا ان ذاك الشاب اللعوب قد استغل ذلك احسن استغلال كونه قرن تصرفاته بحركاتها لتظهر على انها امر شبه عادي ولا يثير أي انتباه مهما كان الشخص المراقب شديد الملاحظة لذا سارت الامور بينهما بشكل سلس وعادي وكان كلما مر على علاقتهما الوقت ازدادت قوةً فتعلق كل منهما بالآخر بشكل قوي فصارا يعدان الساعات والدقائق ليتم اللقاء، وما أن تسنح له الفرصة حتى يستقل اول حافلة ويعود، كان ثاني اتصال جسدي بينهما في أحد البساتين التي تحف طريق ذهابها لإيصال طعام الغداء لزوجها .كان ينتظرها وهي في طريق العودة حيث اقتادها وهو يضم خصرها بذراعه إلى اقرب اجمه كثيفة توغلا وحدث ما حدث ومنذ تلك اللحظة زادت العلاقة قوة لتصبح أكثر عمقاً فصار كل لقاء يترك أثراً روحياً يصعب على أيّ شخص غيرهما وصفه، فصارا يتواعدان بوتيرة أكثر لذا صارت تصرفاتهما تثير بعض الريبه فبدا ذلك جلياً على محيا بعض من أفراد الدائرة الصغرى في العائلة إلا أنهم في قرارة أنفسهم كانوا يبعدون ذاك الشك عن مخيلتهم كونهم كرسوا كل ثقتهم بابنهم المثقف والجامعي.

أحسا بما يدور حولهما لذا قررا التلاقي في منزل الزوجية كي لا يقعا بشراك قد ينصبه لهما أيُّ كان

وكان يتم الاتصال مستغلين أيه لحظة انشغال أفراد الأسرة عنهما إلا ان ذلك لم يكن يروي غليلهما لذا فكرا

بالحل الناجح وكان ذاك الحل قد قدمه ذاك الذي نبت له قرنان في اعلى رأسه واللذان كانا يتلونان باللون الاحمر القاني عندما يحسم أمراً كان قد خطط له ودبره بكل مهارة فأوعز لذاك الجامعي الذي كان قد سلبه تلك الملكة الإلهية التي تسكن اللب بأن يضع حبوباً منومه في شراب الزوج كلما ارادا التواصل. تكرر الامر ولطيبة الزوج وسلامة نيته مرر الامر على أنه قد يحصل ذلك بشكل عادي أن ينام المرء بعد احتساء شرابٍ مسكرٍ لشدة تعبه.

وكان عندما يصحو في اليوم الثاني يسأل زوجته متى ذهب ابن عمه احمد وكانت تجيبه فوراً بعد ان غفوت وكانت تقول له بضع كلمات لوم على تصرفه غير اللائق وكان يرضيها بشيء من المداعبة التي صارت بالنسبة لها مبتذلة .إلا أنها كانت تمرر الأمر فتجعله يبدو طبيعياً .

وذات يوم حضّرا كل شيء وكان احمد قد جلب معه من العاصمة علبة دواء منوم قوي المفعول عملت الزوجة على طحن الحبات ودست المسحوق في كأس شراب الزوج وبدأت

السهرة وما أن مرّ بضع دقائق حتى بدأ صوت شخير الزوج يتصاعد ليلامس عنان السماء كلّماه وحركاه لكن دون جدوى عندها قاما وتعريا وبدأت جولات عشق غُلِّف بشهوة غريزيه شيطانية اشعلت كل كيانهما

وبالتالي فتح خزائن قدراتهما على مصراعيها لتصب زيتاً على نار ما إن تبدآ بالخمود حتى يتتأجّج من جديد.
لكن وكون لكل كائن طاقة وقدرة لا يستطيع الجسد أن يتخطاها لذا استسلما لنوم عميق رغماً عنهما. وفي الصباح استيقظ العجوزان وتوزع كل منهما لينجزا عملاً اعتادا عليه في كل صباح فقصد الكهل الحظيرة ليفصل الخراف عن أمهاتها أما الزوجة فقد قصدت المطبخ لتجهز طعام الإفطار وتعد زواده ابنها وأثناء حركة الكهل تعثر فوقع أرضاً وصاح وجعاً ركضت نحوه لتجده غير قادر على الوقوف ساعدته واجلسته على حافة المعلف وعادت لتنادي ولدها. طرقت الباب بيدها فلم يجب أحد. صاحت بأعلى صوتها حسان قم ساعد والدك لقد تعثر ولا يستطيع الوقوف
أحس الشابان وهما عراة فقفز أحمد واختبأ في النافذة خلف الستارة بينما بقيت الزوجة في الفراش متظاهرة في النوم دفعت الأم الباب فانفتح ووقفت فوق فراش ولدها وصاحت به فلم يتحرك فتح عينيه بصعوبة وأشار بيده نحو النافذة دون كلام استفسرت منه ثانية إلا أنه اعاد الكرة مشيراً بيده نحو النافذة عندها قصدت النافذة ورفعت الستارة ليقفز منها شاب عاري عرفته وهو يدفعها ليلقيها أرضاً ويفرّ هارباً قامت ولحقت به وهي تصيح استغلت الزوجة وقامت وبدأت البحث عن ثيابها .

وعندما لم تتمكن العجوز من الامساك به عادت لتشاهد كنتها عارية هجمت عليها وهي تصرخ دفعتها الكنة وفرّت هاربة لحقتها العجوز لكنها صارت خارج المنزل وهي تتوارى في زوايا الجدران إلى أن وصلت لجانب حافلة كانت تخدم القرية وكان احمد قد سبقها إليها حيث فتح الباب وأدخلها وقام بفك الستاره ولف بها الفتاة وكذلك فعل بنفسه نزل من السيارة وقصد باب المنزل المجاور وكان يملكه صاحب الحافلة هو ذاته ذاك المزواج المتصابي فتح الباب وهو يفرك عينيه ليفاجأ بشاب يلف جسده بستارة زجاج حافلته أبلغه الشاب بالأمر، أبدى في البداية استغراباً مصطنعاً إلا انه تمالك نفسه وطلب من الشاب احضار الفتاة ليتم سترها كما قال ادخلهما غرفة المضافة والتي كما جرت العادة في القرى تكون عند مدخل المنزل وذهب واحضر لهما ثياباً لبساها وطلب من الشاب المغادرة خلسة والتواري لفترة يستطيع خلالها تسوية الامر بأقل الخسائر كما قال غادر أحمد مستقلاً اول حافلة صادفها في طريقه أثناء مغادرته القرية سيراً على قدميه.

أما الرجل سلطان فقد استغل ذلك أحسن استغلال إذ أبقاها في ضيافته الحارّة لعدة أيام خاض خلالها جولات ومنازلات لطالما حلم بإحداها.

حضرت أجهزة الدولة من شرطة وقضاء. بناءً على أخبار العجوزين حيث تم البحث عن الشابين لكن دون

جدوى تم تحريز كل الملابس وبقايا أدوات السهرة وختمت المحاضر على ان يتم تعميم اوصاف كلا المغامرين الفارين .

وبعد عدة أيام كان ذاك المضيف الشهير يسوق الحجج للفتاة تارة فيقول ان الشرطة تبحث عنها ولم تزل الدوريات في القرية بالإضافة لبحث اهل زوجها عنها وعن عشيقها ليتم محاسبتهم حسب عادات وتقاليد ذاك المجتمع

ثم أدعى بأنه يسوق وساطة بين اهلها وأهل زوجها كونه قد استضافهما هو وعائلته حفاظاً على حياتهما إلا أن الزوجة قد ضاقت ذرعاً بالأمر فقررت الهرب من رمضاء فرّت منها إلى النار لذا قررت مغافلة صاحب الحافلة وتسللت فجراً لتسليم نفسها إلى مخفر الشرطة شارحة الامر بكل تفاصيله وأقرت بأنها كانت مخطئة من ناحية ومغرر بها من ناحية اخرى وكم غدر بها ذاك المضيف الشهير مع اقرارها بأنها تستحق العقاب على غدرها بزوج طيب أحبها وأمّن لها.

ألقي القبض على الشاب حيث اقتيد امام زملائه الذين اكتفوا بتشييعه ازوراراً.

أما ذاك المزواج الذي استغل الظرف فقد أودع السجن لفترة عقاباً على ما قام به من خيانة للأمانة وتعديه على الحياء العام.

(2- السائق)

حل فصل الخريف وأصبح الجو بارداً نسبياً وتناثرت الغيوم في الفضاء بيضاء كزبد البحر الهائج سابحة على ظهرها وهواها. تعرت الأشجار حتى النصف تقريباً .أوراق صفراء بنية تتكسر تحت الأقدام وتتطاير في الهواء عند أول نسمة تهب وكأنها تريد العودة إلى حضن أمهاتها الواقفات هناك بحزن من ينتظر أملاً قد لا يطول أمده.

وحتى الحدائق البيتية لم تسلم من هذا العابر الصارم رغم كل ما كانت تحاط به من اهتمام.

ورغم انقضاء القسم الأكبر من الليل فإن الهدوء الصارم لم يزل يلف الطبيعة بسحر أخاذ.

وماهي إلا لحظات وتبزغ الشمس لتكنس آخر فلول ذاك المارد الأسود وليظهر السهل رائعاً بعد ليلة ندية.

وفي الصباح الباكر بدأت الحركة في معظم الشوارع الموصلة إلى ساحة تلك الضاحية السكنية لمدينة كبيرة.

ترجل رجل وامرأة من سيارة أجرة وكان كلاهما في العقد الثالث تأبطت المرأة ذراع زوجها بكبرياء يُظهِر الكثير من التصنع، وكانت لمن ينظر إليها امرأة جميلة انيقة سافرة وكانت تضع على كتفيها شالاً من الصوف الأسود اللامع لتقي نفسها من لسعه برد الصباح بينما حمل الرجل حقيبة سفر متوسطة الحجم. اتجه الاثنان نحو مكان في الساحة تتجمع فيه سيارات كانت تقف كما

سائقيها منتظرة زبائن تقلّهم إلى المدينة وكان كل سائق قد جلس خلف مقوده ممنياً النفس برزق يأتيه من غامض علم الله وفي الوقت نفسه يعتبره مقسوماً هذا امر لا جدال فيه.

أشارت المراة نحو سيارة فارهة أمريكية الصنع فاتجه الرجل نحوها نزولاً عند رغبة زوجته.

وما إن رآهما السائق حتى نزل من السيارة ولاقاهما بابتسامة مصطنعة وبلسان محترف عارضاً خدماته بتملقٍ واضحٍ .

بعد مفاوضات ميسره بشكل مريب من السائق تم الاتفاق على بدل الإيجار استقل الزوجان المقعد الامامي بينما استاذن السائق بحجة ابلاغ زوجته عبر هاتف المكتب بمغادرته

عاد السائق وجلس خلف المقود وادار المحرك منطلقاً باتجاه المدينة بعد ان قام بإدارة مفتاح الراديو لتصدح فيروز برنيمها المنعش. تجاوزت السيارة مسافة ليست بالقليلة وبعد فترة من المسير شاهدوا على يمين الطريق سيارة متوقفة وإلى جانبها رجلان يحمل أحداهما وعاء وقود فارغ وما إن اقتربت السيارة حتى بدءا يلوحان لها.

استأذن السائق بالوقوف على حاجتهما وإن كان بالإمكان مساعدتهما، وافق الزوج بشهامة اهل الريف وطيبتهم .

اقترب الرجلان من النافذة اليمنى حيث تجلس المرأة وطلب حامل الوعاء ان ينقلهما لأقرب محطة وقود.
باشارة من رأسه وافق الزوج، شكره الآخران واستقلا المقعد الخلفي وانطلقت السيارة مسرعة وكانت فيروز لم تزل تشدو حيث صمت الجميع في حضره الصوت الملائكي
شرد الرجل مفكراً باشياء عامة قلب صفحاتها من دفتر ذكرياته حيث عاد لطفولته مستعيداً لحظات سعادة كان يحسها عندما يكون بصحبة والده إلى المدينة وبالإخص اول مرة رافق والده خلالها حيث ركبا حافلة الركاب الوحيدة التي كانت تصل القرية وعدة قرى اخرى بالمدينة وكانت تؤمن كل الخدمات مهما كانت طبيعتها وبالطبع مقابل أجر مادي.
كيف وقف على قدميه ليتمكن من مد رأسه من النافذة لينظر إلى الحقول الشاسعة والبساتين وكانت شدة فرحه عندما مرت الحافلة بالقرب من بستان ابن خالته الذي كان يعمل مع اهله في جني المحصول حيث لوح له بيده بينما كانت الحافلة تطلق بوقها كعادة السائقين عندما يريدون تحية من يمرون بهم . وهو بحالته هذه انحرفت السيارة لتسلك طريقا فرعيا التفت مستفسراً وإذا بفوهه مسدس تدير رأسه يميناً وبنبرة حادة محذرة اذ سيكون مصيره القتل ان ابدى اية مقاومة.

أذعن الرجل مطلقاً لدماغه الحرية بينما واصلت السيارة التقدم في ذاك الطريق المهجور
اثناء ذلك استعاد هدوءه وبادر بطرح السؤال وهو ينظر إلى الامام نزولاً عند رغبة صاحب المسدس بطرف عينه إلى المرآة المثبتة فوق رأس السائق حيث رآه بوضوع.

- ما هو غرضك من هذه الحركة
- نريد هذه الجميلة
- الآن فهمت . لقد حسبتكم تريدون سلبنا مالنا ومصاغنا
- لا .. لا نريد سوى تلك الفاتنة
- قل ذلك من البداية يا رجل هذه المرأة تعمل عندي كسكرتيرة واتخذها خليلة وبطرف عينه تلقت غمزة خفيفة منه.

وتابع قائلاً أن رغبت فهي حرة ولا مانع لدي قالها وهو يلتفت نحو زوجته التي اومات برأسها بالموافقة .
وقفت السيارة جانب حرش صغير نزل الاشخاص منها تجمع الرجال ليقترعوا على من سيكون صاحب الدور الأول أي صاحب الحظوة بينما انفردت المرأة وهي تشبك يديها خلف ظهرها وقعت القرعة على احد الرجلين الذي انبسطت اساريره وانفرد قاصداً المكان الذي تقف فيه المرأة لف ذراعه حول خصرها وقادها باتجاه الحرش سارت معه دون أيه مقاومة وسار

الرجال الثلاثة بهدوء حيث توسط الزوج كلاً من السائق والآخر.
وبكل هدوء أخذ يطرح عليهم الأسئلة لكسب ثقتهم دون ان ينقطع عن مراقبة زوجته ، سأل الرجل الذي على يمينه الذي هدده بالمسدس

- لقد اعجبني مسدسك هل هو ملك لك
- نعم لقد ورثته عن ابي .
- ارني إياه.
- جميل واعاده بعد ان تفحصه جيداً وانت هل تحمل مسدساً قالها للسائق.
- نعم.

ومد يده وسحب مسدساً صغير الحجم كان على خصره وقدمه للرجل الذي تفحصه بدوره وأعاده لصاحبه والتفت قائلاً :

- مسدساتكم رائعة لكن مسدسي أفضل وأحدث.

وسلّ مسدسه الملقم وأطلق النار على رأسيهما ودفعهما بكلتا يديه وانطلق راكضاً باتجاه الحرش حيث كانت المرأة قد انهكت الرجل بمراوغاتها وما إن رأته قادماً حتى بادرت الرجل بكوعها على رقبته لتلقيه أرضاً مستغلة انشغاله بصوت الطلقات وصل والمسدس بيده وما أن رآه الرجل حتى انقلب على بطنه وبدا يقبل حذائه على أن يبقيه حياً

أمره بالوقوف والسير أمامه بينما قام بلف عنق زوجته بذراعه بكل حنان وسارا والرجل أمامهما يتعثر بأصغر حصاة خرَ الرجل على ركبتيه عندما شاهد جثتي رفيقيه مضرجتين بدمائهما .

ركله بقدمه آمراً اياه بالوقوف ومتابعة السير حيث فرض عليه حمل الجثتين ووضعهما في صندوق السيارة بينما قامت المرأة بتقيد الرجل بحبل أخذته من صندوق السيارة دفعه الرجل في المقعد الخلفي وقاد السيارة بأقصى سرعة قاصداً المدينة .

اخترقت السيارة الشوارع وكانت وجهتها ساحة المدينة حيث يكون المجمع الذي يضم مبنى المحكمة.

دخل بسيارته حتى وصل اسفل درج المحكمة نزل وفتح باب السيارة الخلفي وانزل الرجل المقيد بعد ان فك قيود رجليه ودفعه أمامه والمسدس بيده حتى قاعه المحكمة فتح الباب وبركله من رجله القى الرجل أرضاً لتصل أصوات ارتطام عظامه بالأرض لمسامع القاضي ومن حوله حيث كانت تدور جلسة مداولة بين جلستي محاكمة

- ماهذا التصرف!؟ قالها القاضي موبخاً، وفي القاعة اشرأبت الرؤوس نحو الرجل الواقف والمسدس بيده وكذلك الملقى على الأرض مثل كيس نفايات

أمسك الزوج الرجل من قبة قميصه وأوقفه على قدميه وقاده حتى حافة المنصة والمسدس مصوبٌ نحو القاضي الذي ارتعد خوفاً

انتبه الزوج للأمر وبحركة سريعة قلب المسدس ومسك به من فوهته وقدمه للقاضي الذي أشار عليه ان يضعه على الطاولة امامه

أستعاد القاضي اتزانه وقال بجدية واضحة :

- ما الامر؟ اخبرني .

سرد الزوج القصة بكاملها للقاضي تأكد من صحة ما سمع من الرجل المقيد عندها أمر رجال الامن باقتياده إلى غرفة الانتظار في هذه الأثناء وصلت سيارة الاسعاف التابعة لمشفى المدينة الوطني ونقلت الجثث لتتمّ الاجراءات القانونية وبذلك انتهت محنة الزوجين اللذين كان ذنب كل منهما أنهما بادرا بكل طيبة لمساعدة الآخرين.

وبعد انقضاء العام الدراسي وعند حلول العطلة الصيفية قصد الزوجان وولداهما القرية الوادعة التي تجاور جبلاً متوسط الارتفاع والتي تطل على سهل جميل واسع احتل الزوجان ركناً هادئاً من شرفة المنزل وكان الوقت صباحاً حيث بدأت الشمس بالصعود وأخذ حرّها يزداد ويشتد كعادته في مثل هذه الاوقات مفسحة للسهول كي تتنفس بارتياح فاتحة ذراعيها تاركة

الطيور لتسعى في مناكبها وهي مطلقة لحناجرها العنان.
وكذلك الحيوانات البرية والداجنة التي انطلقت باحثة عن رزقها وبدا كل شيء ينبه إلى ان الحياة عادت لدورتها المعتادة من جديد.

(3- القائد)

كنت أنهي بعض المهام التي كلفت بها يوم أمس مساءً وإذ بي اسمع وقع أقدام بشكل رتيب على بلاط الممر وكانت تدل على رصانة وجدّية ذاك الشخص القادم الذي يسير بهذه الطريقة. اقتربت الأصوات أكثر وإذا بباب غرفتي يفتح ويلج. بهرني مشهده تسمرت مكاني وانا احدق بهذا القادم الذي غزى الشيب رأسه مع شيء من الكثافة وخاصة عند الصدغين وكانت نظارته الطبية قد فرضت سيطرتها على كتلة الشعر ملزمةً إياها على ترك أخدود بادٍ بشكل واضح ما إن يضطر لنزعها من عينيه كسجين منح فسحة للتنفس .

ما لبثت ان وقفت بوضعيه الاستعداد محيياً القادم الوقور.

- احمد رافقني في جولتي هذه
- حاضر سيدي. وتبعته بسرعة إلى أن لحقته كونه تعمد التباطؤ مفسحاً المجال لي كي أوافيه
- سنزور الدائرة الفنية .
- هل من طارئ سيدي ؟
- لا أبداً مجرد زيارة روتينية

سرت بجانبه بصمت وكنت احسبه يرمقني بطرف عينه من تحت النظارة ولجنا مدخل تلك الدائرة تحت وابل من التحيات التي كان عناصر الخدمة يؤدونها

لحضرة قائدٍ كانو يحترمونه كثيراً لمعاملته الابوية التي كان يحيطهم بها

عند باب مكتب يقبع في صدر ذاك البهو كان عنصرٌ متأهبٌ يقف . بعد ان قدم التحية

- هل هنا الملازم حسان ؟
- نعم سيدي. قالها وهو يفتح الباب

دخلنا ووقفت بجانب القائد قبالة الملازم حسان الذي بادر بتقديم التحية

- هذا الملازم حسان هو بمثابة ولدي يا أحمد
- كل التحية لكم وله سيدي
- كيف تسير الأمور يا حسان؟
- على احسن ما يرام سيدي
- ارنا إنجازاتك
- بكل سرور تفضلوا سيدي

سار القائد ورافقناه حيث شاهدنا مراحل بناء المهاجع ويعض الأبنية المرفقيه التي تمّ انجاز القسم الاكبر منها . نال شيء من رضا القائد الذي ربت على كتف الملازم حسان وغادر وأنا معه بينما اقفل الملازم حسان عائداً إلى مكتبه

- هذا الشاب مليء بالحيوية والنشاط وهو مبدع في مجال عمله. قالها القائد دون ان ينظر اليَّ.
- واضح سيدي.

- أنا أعامله هكذا منذ أن التحق بالخدمة هنا كونه دمث الخلق هادئ الطباع ـ وأفكر أن أكلفة بالإشراف على بناء الملحق الذي سأبنيه فوق سطح منزلي ـ.
- خيراً تفعلون سيدي إن كنتم تثقون به إلى هذا الحد.
- عدْ إلى مكتبك وجهز لي ما كنت قد طلبته و أحضره في الحال.
- حاضر سيدي ـ قلتها وأنا أستدير عائداً ـ ....

في مكتب القائد حيث انفض اجتماعٌ ضمّ رؤساء الأقسام قال القائد:
ـ حسان ابق لحظة. أما أنتم فانصرفوا كل في مهمته.
ـ حاضر سيدي قالها الجميع وهم ينصرفون.
ـ اسمع يا حسان اريدك أن تشرف على بناء الملحق الذي أنوي بناءه على سطح منزلي.
ـ بكل سرور سيدي.
ـ عند انتهاء الدوام سترافقني كي تعاين ذلك بنفسك.
ـ حاضر سيدي. هل من خدمة أخرى.
ـ لا شكراً بإمكانك الانصراف.
ـ احترامي. قالها وهو يغادر.
أمام منزل القائد كان سائق آخر يجلس خلف مقود سيارته والذي ترجل عندما رأى القائد ومرافقه.
ـ مصطفى خذ السيارة وأوصل غازي إلى منزله.

ـ حاضر سيدي قالها وهو يعود إلى مكانه خلف مقود سيارته.
ـ ادخل يا حسان. سنتناول طعام الغداء ومن بعدها تقوم بما عليك فعله.
ـ لا داعي سيدي ـ لا أريد أن أثقل عليكم.
ـ لا عليك ادخل فأنت مثل ابني.
ـ لي الشرف. كما تريد سيدي.
حمداً لله على السلامة ـ قالتها صفاء زوجة القائد بوجه بشوش.
ـ المهندس حسان سيتناول طعام الغداء معنا.
ـ على الرحب والسعة.. تفضلا.
وبعد أن بدّل القائد ثيابه وارتدى البيجامة والروب جلس وحسان في صالة المنزل وتناولا كأساً من العصير ريثما يتم تجهيز الطعام.
ـ الطعام جاهز ـ تفضلوا سيدي قالتها الخادمة.
ـ قم يا حسان واعتبر نفسك في منزلك.
ـ أدامكم الله سيدي.
جلس الجميع حول طاولة الطعام وكان الجو العام المحيط مريحاً جداً للنفس وبالأخص ذاك الكساء الفاخر الذي تم تنفيذه هناك حيث اللمسة الفنية ليد صانع ماهر قد تركت أثرها الواضح هناك رغم الإنارة الخافته التي كانت تضفي على كل ذلك جواً رومانسياً أخاذاً.

وللمصادفة كانت جلسة صفاء مقابل موقع حسان... وللارتباك الذي يعانيه شاب في مقتبل العمر يدخل منزل رئيسه بهذه الطريقة والذي زاد من حدة حالته هذه نظرات السيدة صفاء التي كانت تختلسها بين الحين والآخر حيث كانت المقل تتلاقى إذ كان يقسر نفسه على إزاحة نظره متشاغلاً بحركات عشوائية في صحنه بواسطة السكين والشوكة التي كانت تصدر صوتاً ينبه القائد بين الحين والآخر. والذي كان يتصنع اللامبالاة كي لا يزيد من حدة الموقف.

تناول الجميع كوباً من الشاي بعد أن انتقلوا إلى الصالة. ومن بعد أن تبادل بضع أحاديث جانبيه كانت المحرك لها السيدة صفاء حيث استجوبته عن أدق تفاصيل حياته بمهارة مفتش مباحث محترف.

قامت السيدة صفاء بإملاء كل طلباتها على حسان فيما يخص الملحق المزمع إنشاؤه ، متصدرة لمهمة الإشراف على كل مراحل العمل.

رحب حسان بالأمر وغادر بعد أن قام بأخذ كل المقاسات بالإضافة لبعض المخططات القديمة للمنزل.

.....

ـ كم هي جميلة وأنيقة ـ كم هو محظوظ سيادة القائد كم يكبرها تبدو بعمر أولاده ـ ألديه أولاد منها ـ لا أظن كوني لم ألحظ ما يشير على ذلك ـ إن كان لها الحظ بالإنجاب فسيكون أولئك الأولاد في غاية الجمال كونها أمهم... قال كل ذلك وهو يستلقي على أريكة اعتاد الجلوس عليها بعد الغداء لمتابعة بعض برامج التلفزيون المفضلة لديه.

ـ أتريد أن تنام قالتها أمه وهي تعبر الصالة باتجاه المطبخ.

ـ نعم.

ـ إين تناولت طعام غدائك.

ـ في منزل القائد.

ـ منزل القائد؟

ـ نعم كوني سأشرف على بناء ملحق في منزلهم.

ـ ماذا أكلت؟

ـ ما لذّ وطاب.

ـ «صحتين» قالتها وهي تتابع طريقها.

أدار وجهه دون كلام وبدأ يغير محطات التلفزيون حتى حظي بما يريد واستسلم لشرود لذيذ.

في هذا الوقت دخلت أخته الصغرى المطبخ لتبدأ جولة العراك المعتادة بينها وبين أمها أساسها فارق السن والطباع.

أخذت الفتاة ما تريد وغادرت دون أن تكترث لما سمعته من أمها كالعادة.

.....

ـ أحمد وافني في الحال ... قالها القائد عبر الانترفون.

ـ حاضر سيدي.

ـ هل جهزت ما طلبته منك.

ـ كل شيء جاهز سيدي.

ـ أحضر الملف إذاً.

ـ حاضر .. احترامي... غادر مكتبه وهو يتأبط ملفاً باتجاه مكتب القائد.. وقرع الباب.

ـ احترامي ، تفضل سيدي ـ قالها وهو يقف أمام مكتب القائد الذي لم يرفع رأسه نهائياً كونه كان يقرأ تقريراً ـ كان قد قدمه له أحد معاونيه قبل قليل. وما أن انتهى من ذلك حتى رفع رأسه وقال:

ـ اجلس يا أحمد ريثما أعد الرد على هذا وأشار إلى ورقة كانت أمامه.

جلس أحمد وهو يضع الملف على ركبتيه.

ـ قل لي يا أحمد هل أنهيت وضع العنصر فيصل.

ـ نعم ولكن بعد طول معاناة.

ـ كيف أنهيتها؟

ـ بالتراضي.

ـ كيف؟

ـ توصلت إلى شخص مقرب من أهلها وكلفته بحل ذاك الخلاف.
ـ لعن الله الجهل والجهلاء.
ـ صدقت سيدي ـ بالرغم من أن العنصر فيصل من الأشخاص الطيبين لكنه بسيط بعض الشيء.
ـ بعض الشيء فقط!.
ـ هذا ما يطلق على أمثاله ـ إذ كيف لعنصر من مرتبات عملنا أن يتصرف مع شقيق زوجته حتى و أن تدخل بهذا الشكل في حياته.
ـ لكن والحق يقال إن ذاك الشقيق كان فجاً وغير محتمل وأتساءل كيف صبر عليه فيصل طيلة هذه المدة.
ـ معكم حق سيدي ولكن أن تصل به الحال لأن يلقيه من على شرفة المنزل.
ـ لم تكن عالية.
هذا من حسن حظ الاثنين.
ـ في هذا معكم حق ، ولكن مالذي حدث ودفعه للقيام بهذا التصرف؟
ـ يا سيدي لقد اعتاد ذاك الأخ المرور على منزل أخته أثناء ذهابه وإيابه ـ وكانت كلما التقته تشكو له زوجها وكان يوبخه مستغلاً فارق السن وكذلك صلة ا لقرابة التي تربط أسرتيهما إلا أنه في هذه المرة تجاوز الحد.
ـ كيف؟

ـ لقد قام بضربه وتهديده ، الأمر الذي لم يتحمله فيصل والباقي تعرفونه.
ـ هذه هي النهاية الطبيعية لقلة الفهم والوعي وبالأخص من قبل الأهل لكلا الطرفين ممن لم يتموا تعليمهم إذ يظن كل شخص بأنه يعي كل مقتضيات الحياة وفي الواقع أنه يكون أبعد ما يكون عن ذلك لذا نجد أكبر نسبة من حالات الطلاق تقع في تلك الأوساط ـ وعليك بقاعات المحاكم الشرعية لتتأكد.
ـ أعرف ذلك سيدي. ألم أعمل في ذاك السلك خلال السنوات العشر السابقة. قضية فيصل تعتبر قضية بسيطة بالنسبة لغيرها من الحالات. لأنه في هذه الحالة كنا نحيل القضية إلى الوجهاء ومن لهم نفوذ عائلي فيقومون بالواجب وحل تلك الخلافات مهما كانت صعبة.
ـ لقد انتهيت ـ هات أعطني الملف.
ـ تفضل سيدي.
ـ يمكنك الانصراف.
ـ احترامي قالها وهو يغادر.
ـ ما هذا ـ كل هذه الأمور حصلت خلال هذه الفترة وفي هذه القرية النائية ـ صحيح أينما تنكفئ يد الدولة تزداد تدخلات القوى الأخرى بحجة سد الفراغ وبالأخص تلك الفعاليات العائلية والعشائرية وممن لهم نفوذ وذوي المكانة الدينية حيث تتولى البت في الكثير من القضايا

وبالتحديد الاجتماعية منها. لذا يجب أن يسود القانون كل شبر من أرض الوطن مهما بعدت المسافة التي تفصل المكان عن مركز العاصمة أو مراكز المحافظات والمناطق.

ـ ما هذا التقرير؟ قضية شرف وتلك قضية نصب واحتيال وبكل أسف ضحايا هذه الجرائم هم ممن لا خبرة لديهم ولا ملاذ سوى من يلجؤون إليهم من أصحاب النفوذ أولئك.

كل هذه المشاكل تسبب عرقلة أمور حياة سكان المناطق تلك كون الاستنفار العائلي يكون في أعلى درجاته فيهمل الرجال أعمالهم وتتعطل دورة الحياة إلى أن تحل تلك القضية وفي أغلب الأحيان يكون الحل مؤقتاً.

.....

تقدم المهندس حسان من مكتب القائد طالباً الأذن بالدخول:

- احترامي سيدي

- أهلاً حسان

- هذا مخطط أولي للملحق أرجو الاطلاع عليه وإن كان هناك أيّة ملاحظات نستطيع تلافيها قبل البدء بالتنفيذ

- اشرح لي كل شيء بالتفصيل

- هذه فسحة سماوية، وهذه شرفة، وهنا غرفة ملاصقة لصالة واسعة تقسمها أبواب متحركة، وهذه المنتفعات، وهنا سننشئ احواض ورد وفي الوسط سنقيم بحرة.

- ممتاز ولكن بدلاً من البحرة ما رأيك لو نقيم شلّالاً في هذه الزاوية ؟

- ممكن .

- يستحسن ذلك .

- تماماً – هل من خدمة اخرى؟

-لا، يمكنك الانصراف .

- احترامي.

- آه حسان ..

- نعم سيدي ..

- في أي المراحل صار المشروع هنا؟

- قاربنا على الانتهاء من أعمال البناء وسنبدأ بعملية الإكساء.

- أسرعوا قدر الامكان قبل حلول فصل الشتاء.

- إن شاء الله- احترامي.
- مع السلامة.
.....

صباحاً أمر القائد مدير مكتبه قائلاً :
- ارسل في طلب الملازم حسان.
- حاضر سيدي .
وما هي إلا لحظات حتى وقف حسان بين يدي القائد:
- احترامي.
- أهلا حسان لقد نال المخطط رضا العائلة.
- هذا من فضل الله.
- كلّف من تراه مناسباً لمتابعة الأمر قانونياً.
- بكلّ سرور- قالها وهو يلفّ المخطط بكلتي يديه ويغادر.
بعد عدة أيام أبلغ حسان القائد أن كلّ شيء صار قانونياً ويمكن المباشرة ...رحّب القائد بالأمر وبعد عدة أيام سلّمه مبلغاً من المال كي يحضر ما يحتاجه من مواد أوليّة وكذلك لتغطية بعض المستلزمات الجانبية،
وبعد مرور بعض الوقت على البدء بالعمل صعد القائد و زوجته لمشاهدة ما تمّ إنجازه حيث سكنت خواطرهم للسرعة والإتقان والدقة في العمل وكذلك تلك الحيوية التي يتمتع بها المهندس حسان، ومن بعد ذلك تكررت الزيارات التي قامت بها السيدة صفاء لموقع العمل وما

يلحق بها من احتكاك مباشر ودون قيود مع ذاك الشاب الوسيم

حضر حسان إلى منزل القائد عدة مرات بدعوة من القائد وزوجته لتناول الطعام أو احتساء القهوة وغيرها من أمور تقدّم على سبيل الضيافة، وكذلك لوليمة عشاء إذا اضطر حسان للبقاء حتى المساء إن كان العمل يتطلب، ذلك الأمر الذي أدّى لكسر حدة العلاقة بين الشاب وبين من في المنزل.

ذات يوم اضطر حسان للحضور فترة الضحى لمتابعة كل بعض الورش المساعدة . وبينما كان يصعد الدرج وإذا بباب المنزل يفتح قليلاً بفعل تيار الهواء وبشكل لا شعوري طرف نظره وإذا بالسيدة تسوي هندامها وقد بان شيء من مفاتن جسدها.

تلاقت مقلتاهما لكنه وبحركة ماكرة أدار وجهه وتابع طريقه مسرعاً، وما إن صار على السطح حتى تهالك على كرسي ركن جانباً في محاولة منه التقاط أنفاس كادت أن تفارق جسده، وفي لحظة شروده المتداخلة المشاعر احس بريح منعشة تحمل في طيّاتها عطراً اخاذاً فتح عينيه ليجدها واقفة امامه بكامل أناقتها ولشدة ارتباكه ظل لثوان جالساً محدقاً بها وفمه مفتوح على آخره إلا أنه ولما يتمتع به من سرعة بديهة انتصب واقفاً دون كلام مبدياً عدم الاكتراث وبالأخص ما حدث قبل قليل

- كيف حالك يا حسان؟
- اهلاً سيدتي
- كيف تسير الأمور؟ قالتها بشيء من التصنع والغنج لكسر حدة الموقف .
- كل شيء يسير على أحسن ما يرام وبإمكانك مشاهدة ذلك .
- لا سأقوم بذلك بعد عودتي.
- كما تشائين سيدتي.
- إلى اللقاء ..اه حسان انزل وتناول شيئاً أن كنت لم تزل هنا عند عودتي.
- كما تشائين سيدتي يشرفني ذلك .
- أوكيه. قالتها وهي تتمايل متغندرة كالفراشة .

عاد حسان إلى كرسيه وقد زاده الموقف تعاسة لشدة التوتر الذي قاساه فوق ارتباكه .

لم تطل غيبتها كونها عادت قبل مرور ساعة من الزمن وما أن بدلت ثيابها حتى أرسلت الخادمة في طلبه

- مرحباً سيدتي
- اهلا حسان تفضل بالجلوس
- وما الذي ترغب في تناوله ؟
- قهوة من فضلكم
- احضري لنا قهوة يا سعاد
- حاضر سيدتي

احتسى كل قهوته دون كلام إلا أن المقل قالت كل شيء وبالتفصيل المثير إذا اشعلت تلك النظرات ناراً كانت تتلظى تحت رماد هش انهى فنجانه ووضعه على الطاولة وهم بالمغادرة معتذراً إلا أنه أحس كمن شده شيء فألغى الفكرة سكن في مكانه للحظات وهم ثانية بالوقوف إلا أن يداً ناعمة باردة كالثلج امسكت بمعصمه جعلت القشعريرة المذهلة تسري في جسده كمعدن سخّن لدرجة الاحمرار وغطس فجأة في حوض ماء بارد.

أحس حسان باللهب يسري متصاعداً من بين شفتيه وأن وعيه يكاد أن يغادر ملكاته الربانية. اخذ نفساً عميقاً حبسه قليلاً ثم أطلقه ولو صادف في طريقه شيئاً جافاً لأشعله في الحال

- اجلس يا رجل لم أنت مرتبك هكذا ؟!
- لا شيء إلا انني أريد متابعة العمل فحسب .
- العمل يسير على أحسن ما يرام والفضل كله لك.
- شكراً سيدتي ...اسمحي لي بالمغادرة ..
- لم؟
- هكذا أريد المغادرة لأنني اخشى أن احاسب من قبل سيادة القائد .
- على ماذا؟
- كوني دخلت منزله دون علمه.
- لا عليك أنا من قام باستدعائك وسأتحمل المسؤولية.

- لا أريد إحراجك .
- أجلس يا رجل لم نتكلّم بعد.
- أكرر سيدتي اسمحي لي بالمغادرة .
- لك ما تريد قالتها بإبتسامة ساحرة بانت اللآلئ من بين خطي الشفق .
- إلى اللقاء.. قالها وهو يغادر مسرعاً لدرجة أنه تعثر بالطربيزة وكاد أن يقلبها بكل ما تحمله على سطحها .
- مع السلامة .

غادر المكان قاصداً منزله لأنه لم يعد يقدر على البقاء ولو لثانية واحدة لأنه عرف أنه لو بقي سيخرّب كل شيء، ولكان افتضح أمره حيث كان يحسب نفسه دنجوان عصره وتبين أنه أضعف وأكثر هشاشة من ورق الورد أو جنح فراشه.

لم يستطع تناول طعامه طيلة ذاك اليوم إلى أن حلَّ المساء حيث غادر غرفته مكان أعتكافه وبعد أن اغتسل أرتدى ثيابه وانطلق قاصداً منزل احد أصدقائه المقربين سيراً على الأقدام حيث رغب في جمع وترتيب أفكاره وبالتالي لملمة مشاعره التي شتّتتها تلك الفاتنة الماكرة كطلق ناري في غابة هادئة ومليئة بالطيور، أمضى وصديقه ماجد ساعات المساء بأحاديث كانت تدور حول محور واحد دون الاقتراب منه كون الموضوع أكثر

حساسيه وأشد تعقيداً من كل ما مر به من تجارب خلال مسيرة حياته مذ كان طالباً حتى هذه اللحظة .
لا حظ ماجد تخبط حسان بأفكاره كمن وقع في شراك من الخيطان التي ما إن يشد أحداها طالباً الحرية حتى يتصدر آخر ليكون أشد قسوة ومتانة من سابقه فتزداد الازمة عرقلة وهكذا إلى ان أنقذه ماجد بسؤاله

- مالك لم أنت على هذه الحالة منذ أن أتيت ؟
- لا شيء ..لا شيء
- كيف لا وانت لا تستطيع ترتيب ثلاث جمل لها معنى
- انا مرتبك قليلاً ولا استطيع البوح بأكثر
- لك ماتريد المهم أن تكون هادئاً وأن لا تتسرع باتخاذ القرارات
- إن شاء الله... إلى اللقاء.
- رافقتك السلامة .

عاد كما حضر سيراً على الاقدام إلا أن غايته في لملمة شتات أفكاره وبالتالي نفسه لم تتحقق ... تناول بضع لقيمات وغادر إلى غرفته طالباً نوماً لم يأته إلا في ساعة متأخرة جداً .

صباحاً سأل أحد العناصر العاملين في مكتبه:

- هل سال عني سيادة القائد؟
- لا أبداً

مطّ شفتيه وحدّث نفسه قائلاً:
عجيب أيعقل أنه لم يعرف بموضوع زيارتي تلك...ربما لم تخبره أو ربما اعلمته فاعتبر الامر عادياً لا يستحق التوقف عنده. لله درّ النساء كم هنّ مثيرات للقلق والجدل .. قالها وهو ينهض من وراء مكتبه قاصداً موقع العمل حيث وقف على كل تفصيلة من تفاصيل المخطط المرسوم مسبقاً . إلا أن ذلك القلق لم يرغب في مغادرته وكأنه صار قدره.

صباح اليوم التالي استدعى القائد حساناً على عجل ولمجرد وصوله الأمر الذي زاد من قلقه وتوتره حيث قال محدثاً نفسه || اتاك الموت|| إلا أنه شد من أزر نفسه ومثل التماسك وغادر مكتبه قاصداً مكتب القائد وهو يقول || العمر واحد والرب واحد||

- احترامي سيدي
- اهلا ...قالها القائد باقتضاب ..مالذي فعلته امس ؟
- ما الذي فعلته سيدي ؟
- كيف تتصرف هكذا يا حسان؟
- بأيّ خصوص سيدي ؟
- كيف ترفض الورشة التي قام بإحضارها معلم البناء؟
- عن هذا الامر تتحدثون سيدي ؟
- نعم

- الأمر بسيط لأن هؤلاء الشبان لا يملكون المهارة الكافية في مجال الديكور .وإنني على معرفة بإحدى الورشات الأكثر مهارة.
- كيف بررت الأمر لذاك الرجل؟
- تفاهمنا على ذلك ولم يترك هذا الموضوع أي أثر في نفسه.
- إذاً الأمر على هذا الشكل ؟.
- نعم .
- أرحتني لأن هذا الرجل قد رشحه لي أحد معارفي ولا أريد إزعاجه.
- اطمئن سيدي في هذه المجالات لا مكان للمجاملات لأن هكذا علاقات تاتي على حساب جودة العمل وهذا لم افعله أبداً .
- بورك فيك يا بني إن كانت كل أعمالك في المستقبل على هذه الشاكلة فأتنبأ لك بمستقبل باهر.
- شكراً سيدي ، أرجو ان اكون عند حسن ظنكم دائماً هل من امر آخر ؟
- لا، يمكنك الانصراف .
- احترامي. قالها وهو يغادر ويكاد قلبه أن يغادر قفص صدره فرحاً كون كل ما كان قد أرّقه ليس إلا وهماً ولا وجود له إلا في مخيلته هو وحده .

- هذا الشاب شديد الثقة بنفسه ويعرف ما يريد كم كنت أحلم بان أرزق بولد مثله... قالها القائد وهو يضغط على جرس الحاجب .
- احترامي .
- أرسل لي المساعد أحمد .
- حاضر سيدي .
- بعدة قرعات على الباب فتح ودخل المساعد احمد .
- احترامي سيدي .
- أهلا احمد جهز لي ملف الترقيات لأنني سأقابل قائد الشرطة هذا اليوم ليأخذ خط سيره الطبيعي.
- الملف جاهز سيدي .
- أحضره في الحال .
- حاضر ..قالها وهو يغادر ثم ما لبث ان عاد حاملاً ملفاً متوسط الحجم.
- الملف الذي طلبته سيدي .
- ضعه هنا – وساطلع عليه لاحقاً ..
- هل من امر آخر سيدي ؟
- لا يمكنك الانصراف.
- احترامي.

.....

- غالب ، من أي المدن أصل حسان؟ سألت صفاء زوجها..
- من العاصمة.
- من العاصمة !...لذا تراه على هذه الشاكلة.
- ما الذي تقصدينه في كلامك هذا؟
- أقصد أنه متزن ويتعامل بشكل (أكابري).
- وهل هذه الصفات تنطبق على كل أهل العاصمة؟
- لا طبعاً ...ما كنت أقصده أنه من بيئة راقية.
- أتعنين أنه من الأغنياء- أي بمعنى أنه من المجتمع المخملي ؟
- هذا ما يبدو عليه.
- أنت مخطئه فهو من بيئة متوسطة الحال لكنه تلقى تربية صالحة .
- ماهو عمل والده؟
- حسب ما وردني كان والده مدرساً في إحدى ثانويات العاصمة وأمه ربة منزل .
- فعلاً التربية اساس كل شيء في الحياة.
- في هذا الخصوص أنت محقه.
- ألا تريد مكافأته على عمله هذا ؟
- بالطبع ولكن بعد ان ينتهي.
- هذا أفضل لأنه يستحق ...ألا تدعوه لتناول الطعام؟
- هذا واجب لكنه يحضر إلى المنزل في غير أوقات الطعام.

- أقصد دعوة خاصة .
- سنقوم بذلك في وقت لا حق .
- كما تريد.. قالتها وهي تغادر لتعد المائدة كون الخادمة في اجازة لعدة أيام .

.....

في موعد حضوره تعمّدت أن تترك الباب مواربا كما حدث في ذاك اللقاء المثير، سمعت وقع أقدامه على الدرج، بدأت بتغير ملابسها في الغرفة الداخلية والتي كانت تقابل الباب تماماً كونها تقع في صدر الصالة بالإضافة إلا أنها تعمدت سحب البرادي فجمعتها في زاوية الحائط بشكلٍ جعل المشهد واضحاً تماماً ومكشوفاً أيضاً .

ومن تأثير المرّة السابقة صارت حركات حسان محسوبة إذ أنه تعمد هذه المرة استراق النظر... ورأى ما رآه وكانت الطامة الكبرى التي أوقع نفسه فيها ..أذ اقتحم المنزل وبأقصى ما أوتي من قوة ضمها وبدا بتقبيلها في الوقت الذي كان فيه يزداد شراسة كانت تتمادى غنجاً لدرجة أفقدته صوابه وحدث ماحدث ...

صحا الاثنان من هذه العاصفة التي أكلتهما أكلاً وكان الباب لم يزل مفتوحاً على مصراعيه ولحسن حظهما أن أحداً من العمال لم يأت وقتها.

لملم نفسه وغادر دون أن ينظر إليها كون العقل عاد وتمركز حيث يجب ان يكون ذهبت تأثيرات السحر الخادع وبقي الواقع بكل أشكاله المرهقة ،
اما هي فبقيت مكانها شبه عارية إلى أن أعادتها لوعيها صوت صفقته الباب حيث قامت لتزيل كل الآثار وهي كالمنومة .
استلقت على سريرها بعد أن استحمت وهي تسبح في الفضاء على بساط كثيراً ما سمعت به إلى أن حان الموعد المحدد الذي يجب أن تكون فيه على أهبه الاستعداد والجاهزية حيث القدوم المحتم لذاك الرجل الوقور.
سارت الأمور كالمعتاد وكذلك اللقاءات حيث كثرت طلبات حسان الإذن بالمغادرة كي يتابع العمل وهذا ما أثار حفيظه القائد اللبيب.

.....

في ذاك المنزل الذي كرست فيه أرقى صفات الأناقة لذوق ربة المنزل اللطيفة جلست أم حسان بعد أن احتست فنجان قهوة بعد الظهيرة وحيث أمضت فترة قيلولة استعادت من خلالها شيئاً من حيويتها نظرت عبر النافذة التي تطل على حديقة الحي الصغيرة – لتراقب أطفالاً متفاوتي الأعمار يلعبون.

عادت بها الذاكرة إلى حيث كان حسان وشقيقته بنفس عمرهما تقريباً إذ كانا يلعبان ويأتيان في آخر النهار متسخي الثياب منهكي القوى إذ ما أن يتناولا آخر لقمة من عشائهما حتى يستسلمان لنوم عميق.

- ما الذي حدث له؟ لِمَ استسلم لهذا الشرود المريب؟ ما لذي استجد في حياته حتى صار على ماهو عليه؟ لا أدري واخشى ان استفسر منه فيعتبر ذلك تطفلاً وهذا مالا أريده ((ايه قلبي على ولدي)) ...

قالتها وهي تزفر بحرقة

بينما هي في حالة الشرود هذه أعادها لوعيها مرور شخص سريع الخطا على الرصيف الملاصق لتلك الحديقة وكان لهذا المرور أثر الصفعة على خد طفل غافل...أنه دارم – لم يزل على حاله كما التقيته قبل سنوات سريع المشي واسع الخطا وكأنه على الدوام يقصد مكاناً محدداً حتى عندما يسير بشكل طبيعي

- دارم يا لك من لطيف! قالتها وهي تهز رأسها هزاً حفيفاً مترافقة بسعادة لا مست شغاف قلبها الذي بدأت دقاته تخبو بعد أن تسارع فجأة

ألم أقسُ عليه حين رفضت طلبه؟ كلا بل قمت بما هو صحيح وموضوعي إذ كيف سأرتبط به و اولادي لم يزالوا بحاجة إلي.... سامح الله القدر الذي فرق بيننا ولم يكتف بل فرق بيني وبين زوجي الذي الزمت على الزواج منه نزولاً عند رغبه أهلي كونه من المقربين ...هذه هي العادات في ذاك الوقت كل ذلك مرّ كشريط سينمائي في شاشة ذاكرتها التي ما لبثت أن عادت إلى الوراء بكل سلاسه ولطف، كيف كان ينتظرها عند زاوية الحي وحقيبة المدرسة معلقة بكتفه في كل الأجواء ماطرة كانت أم الشمس ساطعة محرقة، وكان يكتفي بأن تمر أمامه وأن تطرفه بعينها حيث كان يعود إلى المنزل منشرح الصدر تملا قلبه سعادة لا يمكن لأحد غيره وصفها – وكيف أنه ذات يوم وبينما كانا يحضران حفلاً خطابياً كانت تقيمه المدرسة في إحدى المناسبات الوطنية- حيث تسلل من بين الجميع ليلاصقها وبينما كان الجميع شامخي الرؤوس منصتي لما يقوله الخطباء فرد اصابعه لتلامس ظاهر كفها - لتسري القشعريرة الممتعة عبر جسدها الطري صاعدة حتى ملأت مخّها إذ شعرت بشيء من الدوار الامر الذي جعلها ترخي جانب من جسدها على جذعه مفرغة

شحنة اعتمرت في أتون داخلها المتوهج تماسك قليلاً كي لا يحس بهما أحداً ممن يحيطون بهم فتقع الكارثة إذ كان شقيقها حادّ الطباع ومتسرعاً في كثير من الأحيان والذي كان يلقبه أقرانه بالصاروخ

انقضى ذاك الوقت وانفض الجميع وذهب كل إلى بيته حاملاً مؤونة من ذكريات مغلفة بأحاسيس لا يعرفها إلا هو ذاته استسلم لخياله بعد أن استلقى على سريره حتى غاب في ظلام أسدله ذاك السلطان الغاشم الذي لا يقاوم بعد هذه الحادثة ،تكررت اللقاءات التي بدأت بالمصادفة إلى أن صار يحدد لها مواعيد وأماكن يلتم الشمل فيها ويتبادل من خلالها الأفكار والأحلام وما يرافق ذلك من حركات ماتعة .

اتفقا على الارتباط وحدد الموعد إلا أن القدر لعب لعبته حيث زارهم أحد المقربين الذين يقطنون إحدى الضواحي ، وما إن شاهدها حتى اندفع طالباً يدها لولده وكان له ما أراد لتثمر هذه الزيارة ولداً وبنت ويغادر الحياة ذاك الزوج العابر، إلا أن دارم لم ينس ذلك وبالأخص عندما اصبحت حرة إذ بدأ يتردد إلى مكان عملها الذي التحقت به بعد وفاة زوجها وكان إحدى المعامل الخاصة لتساهم في تغطية التزامات اسرتها كرر طلبه عدة مرات وكانت تماطل إلى أن أتاهم مرة وكان في غاية الحزم اراد جواباً شافياً على طلبه وكان

ردها بالرفض رغم ضغطها على نفسها لتظهر بما لا تحس به إذ ما إن غادر حتى تهالكت باكية.
ما الذي اتى بك في هذه اللحظة يا دارم؟ هل قصدت ذلك ام انها كانت صدفة ؟....ربما .. لا أدري.
هل يمرّ حسان بحالة كهذه لأن ما يبدو عليه من تصرفات تشير في الغالب إلى ذلك كيف أعرف سأتحقق بطريقتي ليطمئن قلبي إن كان قد أحسن الاختيار فكم يكون من المحظوظين وإلا سأتدخل كي لا يمرّ بما مررت به ويجلس مثلي هكذا على نافذة الزمن.
ـ مساء الخير.. قالتها شقيقة حسان الصغرى وبيدها مخطوطة تحاول فكّ رموزها إلا أنّ ذلك لم يتحقق.
ـ أين حسان؟
ـ لا أدري لقد غادر قبل قليل.
ـ كثرت المرّات التي يغادر فيها في مثل هذا الوقت.
ـ لديه عمل يتابعه.
ـ عافاه الله ـ كنت بحاجة له كي يشرح لي بعض الأشياء الغامضة في هذه المخطوطة.
ـ عليك الانتظار حتى يعود.
وهو كذلك. قالتها وهي تغادر.
في هذه اللحظات كان حسان يمضي فترة من فترات العمر بين أحضان تلك الفاتنة، والتي كانت تغادر منزلها بعد أن يخلد زوجها مستلماً لقيلولة تدوم لساعتين في

العادة وكانت تبرر ذلك بذهابها إلى صالة الألعاب الرياضية لتعيد لجسدها رشاقته، ويا لها من ألعاب!
وبالفعل كانت تعود وهي في غاية الحيوية والنشاط وكأنّ روحاً نفخت فيها منيرة حتى خلايا جلدها.
وكانت تلك اللقاءات تتمّ في منزل زميله رضا الذي يعمل في إحدى القطاعات الهامة في هذا البلد والذي كانت طبيعة عمله تلزمه بالبقاء في موقع العمل لأكثر من أسبوعين في الشهر.
زادت العلاقة لتصبح أكثر التصاقاً لدرجة أنه لم يعد بإمكانهما أن يفترقا إلا لساعات وأن أجبرا على ذلك كان الوقت يمر عابراً كسلسلة دبابة على عظام نفسيهما إذ ما أن تحين ساعة اللقاء حتى ينهضا وكأنهما جسدٌ واحدٌ وإن كان في مكانين متباعدين.
وفي فترة اضطر صديقه لأخذ إجازة نقاهة بعد تعرضه لحادث بسيط أثناء قيامه بعمله تدوم لعدة أسابيع.
ضاقت بهما الدنيا وصارا يتباحثان بالأمر. بحثاً عن مكان اللقاء إلى أن اتفقا على أن يأتيها إلى المنزل مبرراً ذلك بضرورة متابعة العمل في ذاك المشروع الشهير.
بدأ القائد يحس بأن شيئاً ما طرأ على حياة زوجته إذ بدأت تصرفاتها تشير إلى ذلك، وبعد تكرار بعض التصرفات ارتاب من الأمر لدرجة قرر وبحسه العملي متابعة الأمر بشكل سري ليعرف الحقيقة، وبنفس الوقت

كان يسهل الخروج الحر أوقات العمل للمهندس حسان دون أن يرتاب به للثقة التي ألزم نفسه بها تجاهه
ذات يوم حضر إلى مقر عمله و الشك ينخز نفسه جلس هكذا مفكراً وإذ بالباب يقرع ويدخل المهندس حسان

- احترامي ..
- أهلاً .
- أريد المغادرة لتسليم ورشة الدهان .
- لك ما تريد.

ما إن غادر حسان حتى قام وركب سيارته دون سائق وقصد منزله، في طريقه شاهد حسان يركب تكسي ويغادر من على ناصية الشارع عند إشارة المرور القابعة في رأس الشارع كانت سيّارة حسان تسبق سيّارة القائد ببضع سيّارات، انفتحت الإشارة وسار الموكب وبشكل عادي ظلت المسافة بين السيارتين ثابتة إلى أن انحرفت سيارة حسان باتجاه المنزل، أبطا القائد سرعة سيارته كي يفسح المجال لحسان كي يصعد السلالم ومن ثم يدخل منزله.
و بالفعل ركن سيّارته قبل المنزل بقليل وتابع طريقه سيراً على الأقدام صعد الدرج الاول ليسمع صوت باب شقته يغلق، تابع صعوداً بهدوء إلى السطح فلم يجد أحداً عندها ثارت حفيظته ونزل بهدوء كذلك إلى أن صار قبالة الباب، سمع بعض الحركات وكلام أقرب إلى الهمس منه، فتح الباب بهدوء ودخل زادت

الأصوات علوّاً ووضوحاً وكانت أتية من غرفة نوم الخادمة.
تابع طريقه مسترقاً السمع وبحركة حفيفة أزاح ستارة تفصل مدخل المنتفعات عن بقية المنزل ليشاهد منظراً تقشعر له الأبدان ويذهب باللب غالباً ..
كانا عاريين تماماً والجولة قد بدأت للتو.
استل مسدسه ودخل عليهما ليصعقا بحضوره تجمدا تماماً وأنفاسهما تكاد أن تقطع
أمرهما بمغادرة السرير وإن يرتديا ثيابهما
خرجا مطأطئي الرأسين ....بادرهما قائلاً

- هل تقبضين ثمن فعلتك؟
- هزت رأسها نافية.
- لم لا تدفع لها البدل؟.

ظل صامتاً وكأن لسانه قد بلعته موجة يمّ عاتية

- هات اعطني ثمن ذلك.
- وبحركة لا شعورية مدّ يدة وأخرج محفظته من جيبه وهو سَكِرٌ من هول ما يسمع.

أخذ القائد المحفظة من يده وأخرج منها ورقة نقدية بقيمة مائة ليرة وضعها في جيبه وأعاد المحفظة لحسان الذي اخذها ودسها في جيبه بشكل لا شعوري وأتوماتيكي.

أمره بالمغادرة ، ومإن سمع ذلك حتى فرَّ هارباً حتى ناحية الشارع حيث استقل سيارة تكسي أوصلته إلى منزله.
وبعد أن استحم أختلى بنفسه في غرفته وهو يحدث نفسه قائلاً: أيعقل أن يتركنا هكذا احياء بعد الذي رآه؟..كم هو جبان؟ لقد صدمني كثيراً.. وهو يبدل قنوات التلفزيون .
منذ تلك اللحظة صار القائد يجلس على مائدة الطعام وأول المواد الموضوعة على الطاولة تلك الورقة النقدية التي يجب أن توضع في كاس فارغ.
أما حسان فقد كان يطلبه يومياً ويوقفه هكذا أمامه بوضعية الاستعداد لمدة عشرة دقائق وهو يحدق به ومن بعدها كان يصرفه دون أن يكلمه ولو كلمة واحدة تكررت تلك الحركات إلى أن فقد حسان عقله وأحيل إلى مشفى الامراض العقلية .

ذات يوم قام القائد بدعوة أهل زوجته على وليمة عشاء بمناسبة عودة أحد أبنائهم من السفر،
جهزت صفاء طاولة عامرة بما تشتهيه النفس من الطيبات ، جلس الجميع حول المائدة العامرة ،عندها قال لها:

- ما الذي تنقصه هذه الطاولة
- لا شيء أجابت.

- بلى ينقصها شيء هام وأنت تعرفينه جيداً.
- لا شيء يا رجل قالها أحد أشقائها.
- أنتم لا تعرفون ما أقصده.
- السفرة عامرة بكل الأطباق.
- ومع ذلك ينقصها شيء هام. قالها وهو يحدق بها،

غادرت مطأطأة رأسها لتغيب لبرهة يسمع الجميع صوت طلق ناري ، ركضوا ليجدوها مضرجة بدمائها والمسدس لم يزل بيدها

زفر دخاناً كثيفاً كان قد سحبه قبل قليل من سيكارة كانت بين أصابعه ولسان حاله يقول لقد انتقمت من كلا الغادرين.

(4- سلمى)

أُنشئت قرية حديثة على أنقاض قرية قديمة كانت السلطات المختصة قد قررت القيام بعمليات تنقيب اثري في تلك المنطقة القديمة والتي يحدها سور ترابي ميزها عن باقي القرى والبلدات المجاورة نشأا معاً حيث كانا يلعبان منذ الصغر فقامت بينهما علاقة لطيفة تنشأ في العادة بين بعض أبناء الحي الواحد فما لك إن كانا يقطنان قرية صغيرة، مجالات الاختباء فيها والتخفي كثيرة ومتنوعة إذ فاقت عواطفهما باكراً فأحس كل منهما بذاته لأن شيئاً خفياً بدا يتحرك داخله إحساس لذيذ ماتع كرس فيه كل مقومات الذات، وعلى الرغم من هذا الشيء قد ظهر حديثاً، إلا أن هذا الإحساس قد أرخى ظلالاً في نفس كل منهما اكثر راحة، وبالتحديد ما تسحبه تلك الحالة على مخيلتهما فتجنح أكثر إلى الخيال المبهم، كبر الولدان وصارا فتيين وبالتالي أصبحا تحت عدسة مجهر العائلة و المجتمع فبدأت القيود ترسخ لكل منهما وهنا كانت أول صدمة يتلقاها كل من في سنّهما إذ كيف يصير من امضى كل سنوات عمره برفقتها محظوراةً عليه أو في أضعف الإيمان تصبح العلاقة أكثر تحديداً ورسمية رضوخاً لقيود سُيِّج المجتمع بها عبر الزمان.

ولطبيعة البنية الجسدية التي كرسها الخالق في كل جنس الفتاة تنضج قبلاً إذ ما ان تصير في سن السادسة عشر حتى توضع على قائمة من تخصصوا بتلك المهنة القديمة الحديثة فيصبح أسمها ومواصفاتها مدار بحث ومداولة بين اولئلك فتدور عجلة الألسن ترغيباً لأزواج المستقبل وعائلاتهم بالأخص فالأمر يهمهم كثيراً لأن ما يؤسسونه الآن ستنسحب آثاره إلى فترة طويلة جداً لاحقاً .

ولتلك المسحة الربانية التي كرست في ذاك الوجه البريء الرائق تلك المواصفات أهلتها لتبوّء المرتبة الأولى في تلك القائمة لدى معظم اولئك النسوة الماهرات.

بدأت جولاتٌ ومحاولاتٌ ومداولاتٌ وإرساليات تحمل في طيّاتها رغبة تلك العائلة أو بالأحرى عدّة عائلات رغبن في ذلك .

ممن يقطنون القرية، من سكان القرى المجاورة الذين أبدوا كامل رغبتهم بالفوز بها لتصير اماً لأحفادهم مستقبلاً.

وقع الاختيار على شاب من قرية مجاورة هذا النصيب كما تم تبرير ذلك للبقية ....وكان شاباُ يكبرها بقليل من أسرة تشابه أسرتها في كل الامور وبالأخص الاقتصادية، كيف لا وهم أبناء بيئة واحدة وكانت أسرته قد وضعتها تحت عدسة المجهر هي وعائلتها ومتعلقاتهم

من الأقارب وبالأخص ذاك الشاب الذي منذ أن صادفها على بيدر القرية فإن بيادر القرى المجاورة تكون شبه مشتركة إذ كان سكان تلك القرى يتخذونها مراعي لمواشيهم ودواجنهم بعد الانتهاء من جمع المحاصيل وموضوع اللقاءات تكون أكثر سهولة لأن معظم الشبان يرتادون تلك المنطقة وتحت أي حجة مبررة اجتماعياً.

تمّت كل الإجراءات وزفّت العروس إلى بيت زوجها وأقيمت الأفراح وما يتلوها من إجراءات اعتادت تلك المجتمعات على القيام بها في مثل هذه الظروف.

إلا أنّ هيثم رفيق عمرها وشقيق روحها والذي يعتبرها هي كذلك لم يقبل بالذي حدث فقرر أن يفوز بها وأن يستعيدها مهما كلّفه ذلك.

فصار يتربص لها ويراقبها في كلّ تحركاتها منذ اليوم التالي لزواجها كيف لا والقريتان متجاورتان. وليسهل مهمته انبرى للعناية بقطيع العائلة فصار يقود غنماته إلى أقرب نقطة تسمح له بمتابعة مهمته التي كرس كل جهده ووقته لها متحيناً الفرصة المواتية للقياها والتواصل معها ومع مرور الوقت صار له ذلك وتحقق حلمه حين صادفها وهي عائدة من الحقل حيث قامت بإيصال طعام الغداء لزوجها وعائلته .

- سلمى ـ أهذه أنت؟!
- نعم كيف حالك يا هيثم؟
- أنا بخير ـ اشتقت إليك .

- وأنا كذلك لك ولكل أهل قريتنا .....قالتها بحياء المتزوجات "اعتذر" قالتها وهي تهم بمتابعة طريقها.
- ابقي قليلاً .
- لا أستطيع اعذرني فأنا في عجلة من أمري قالتها لتداري ما تحس به
- أرغب في رؤيتك لنعيد ذكريات الماضي.
- أنا أحن إلى ذلك لكن الظروف قد تغيرت ، إلى اللقاء، اعتذر مجدداً.

قالتها وهي تغادر مسرعة بينما بقي هو هكذا مكانه جامداً غير مصدق ايعقل أن يحدث هذا وبهذه البساطة بعد كل هذا الانتظار ظلّ هكذا مثبتاً نظرة عليها حتى غابت في تلك الأجمة الكثيفة التي تحد درباً ترابياً من الجانبين.

انكفأ عائداً إلى حيث ترعى غنماته وفي قرارة نفسه يقول لقد وضعت رجلي في أول الدرب وعليَّ المثابرة .

تكررت المصادفات وما يتلوها من تبادل لأحاديث وتحيات ومن بعد ذلك جلسات قصيرة على حافة الدرب أو تحت شجرة وارفة الظلال استمرّ الامر على هذا الشكل فترة طويلة .كبر خلالها أولادها الذين رزقت بهم في السنتين الأوليتين من زواجها وصارا في سنّ المدرسة تقريباً .فصارا يقومان بمهمة نقل الماء والطعام لوالدهما يومياً تاركين أمهما لتتفرغ لأعمال

المنزل التي لا تنتهي حسب قولها دائماً كلما سمحت الظروف لها بملاقاته.

لم يتردد هيثم لأنه اتخذ قراراً لا رجوع عنده وكلما مرت الايام زاد تعلقاً بها وكذلك هي وإن كانت تداري ذلك حذراً وحياءاً كيف لا يفعل ذلك وأيامه وكل عواطفه فارغة لا يملؤها شيء وكون الإنسان ببشريته جبل على حبّ الذات أي الأنانية التي تصبح مرضية في كثير من الأحيان ومعظم من يصلون إلى هذه المرحلة تكون العاقبة التي يؤلون إليها سيئة إن لم نقل وخيمة وهذا ما حدث مع هيثم الذي ازاداد إصراراً على النيل منها والحيازة عليها مهما كلفه ذلك، لذا كثف مراقبته لها ومتابعتة تحركاتها بغية الانفراد بها ولو للحظات بعيداً عن اعين الناس ولإصراره وطول أناته حصل على مراده عندما قابلها في الطريق واقتادها إلى مكان منزو وتواريا حيث تمكن من مداعبتها وعندما حاول التمادي فرت هاربة بغنج ومكر أشعل فيه ناراً كانت هامدة أو بالأحرى كان يهدئها قسراً .

تتالت تلك اللقاءات وتمادى أكثر وتساهلت أكثر إلى أن وقع المحظور الذي ما إن يحدث حتى تنهار تلك الاسيجة التي توضع للحياة الزوجية، حيث يعتبر ذاك الحاجز الأخطر، قد يتخطاه المرء دون أن يصاب بأذى مباشر فيصير التكرار عادياً وطبيعياً لذا تتوالى

الأحداث وتتكرر العمليات ويضرب بعرض الحائط كل شيء.

غيَّر ما حدث مسار حياتها إذ أحسّت بكيانها ، أي أنها لم تزل مرغوبة ومحطاً للأنظار وهذا ما يحس به كلا الجنسين عندما يتعرضان لمؤثر خارجي وهما في سياق ورتابة مملّة يحشر فيها الزوجان نتيجة لظروف عدة مادية واجتماعية وغيرها من محبطات، وما إن يحدث ذلك حتى تنتعش تلك الملكة فيبدأ ذاك الإحساس الذي يكرّس وهماً إنه موجود ولم يصبح رقماً أو أي شيء ركن على قارعة طريق أزلي سمي بالحياة .

هذا ما مرّت به سلمى وأحسته تماماً فاعتبرت ذلك نفحة راحة في ذاك الجو الرتيب وبالأخص في بدايات تعاملها مع هيثم . إلى أن تم اختراق ذاك الحاجز الذي لا رجوع فيه ومنه وبالأخص إلى الخلف لذا قررت وبحزم أن تلبي كل رغباتها حتى وإن خالفت وعاكست كل حدود وقيود المجتمع الذي لا يرحم ولا يترك رحمة الله تنزل حسب قولها.

ونتيجة التواصل المتكرر وفي أماكن عدة ضمن القرية وخارجها حيث كانا يتقابلان في شقة شقيقه الأعزب في المدينة وأثناء قيامه بمهام كلف بها من قبل رؤسائه .

قررا أن يلتقيا للأبد . وأولى العقبات التي يجب إزالتها هي تلك الورقة التي كتبها شيخ القرية وربطت مصيرها بذاك الرجل للأبد.

اختلقت مشاكل عدة تعمدتها عسى أن تخرج زوجها عن طوره ويقوم بطلاقها إلا أن ذلك لم يحدث لأن ذاك الرجل الطيب كان يمتص ذلك ببساطة وفي كثير من الأحيان على حساب كرامته ولأسباب عدة اهمها دوام الحياة من أجل الأسرة.

أعيتها السبل إلا أن هذا الأمر لم يتم ولم تحصل على تلك الحرية المزعومة .

تدخل شيطان المرأة وبشكل صاروخ في الأمر مقدماً خدماته التي ما إن لاقتها حتى تلقفتها وعملت جاهدة على تحقيقها .

وكانت فكرة جهنمية ألا وهي أن يتم التخلص من الزوج بأية طريقه فيتحقق المطلوب والمقبول من كل الاطراف .

فكّرا في كل السبل التي تم سلوكها من أشخاص ساروا قبلهم في ذاك الدرب السيء العاقبة إلا أن معظم تلك الأفكار كانت تلاقي الصد من كليهما.

تفتق ذهنهما على مكيدة تخلصهما منه وبأقل التكاليف ألا وهي القيام بدسّ سمّ في طعام الزوج ويظهر ذلك على أنه تعرض لذلك عن طريق الصدفة كأن تمر أفعى أو أيّ الحشرات السامة على طعامه المتروك جانباً عند حافة الساقيه أو معلقاً بغصن شجرة قريبة طرحت الفكرة على هيثم الذي رحب بها بدوره وأحضر لها سماً كان قد احتلبه من أفعى كان قد امسك بها أثناء رعيه

لأغنامه إذ كانت تلك هوايته المفضلة لذا تراه يحتفظ بأوعية صغيرة محكمة الاغلاق لهذا الامر وكان يستخدم هذا السمّ بعد تمديده بالماء لرشّه على صوف الأغنام وكذلك على المزروعات لقتل الحشرات الصغيرة دون أن يؤثر سلباُ على صحة الإنسان لأنه قام بتمديده بالماء بشكل مدروس ومجرب .

أحضر العبوة وشرح لها كيفية دسّ محتواها في الطعام وأنّ عليها أن تلقيها بعيداً وكان قد مدّد المادة كي لا يتأخر تأثيرها قليلاً حتى يحس الشخص الذي تدخل جسمه عن أي طريق بتوعك وتظهر عليه علامات ضربة الشمس ومن بعدها يدخل في غيبوبة ثم ما يلبث أن يفارق الحياة.

وبذلك تكون النتيجة مضمونة وتظهر آثارها لمن يقوم بالمراقبة أمراً شائع الحدوث في مثل بيئات كهذه .

جهزت عبوات الطعام وغلفتها جيداً وبعد أن تناول ولداها طعامهم بعد عودتهم من المدرسة حملتهم الزواده لنقلها كالعادة لوالدهم في الحقل .

وصل الولدان إلى حيث يعمل والدهما فلم يجداه انتظراه قليلاً فلم يعد سألا جاراً كان يعمل بحقله فقال : لقد ذهب والدكما إلى القرية المجاورة لاستحضارالميكانيكي لإصلاح مضخة المياه .

عندها عادا والزوادة معهما وأثناء عودتهما ولتصرفات صبيانية قرّرا تناول قليل من الطعام لذا جلسا تحت

شجرة وارفة الظلال شمخت على حافة الدرب وتناولا طعامهما، وكان أخر ما تناولاه .
تأخر الولدان قالتها وهي تحدث نفسها لم كل هذا التأخير أثار ذلك حفيظتها و"لعب الفأر بعبها" كما يقول المثل لذا قررت اللحاق بهما وعندما وصلت إلى مكان جلستهما تحت تلك الشجرة رأت مشهداً أفقدها صوابها فصارت تضمّ كلي ولديها وهي تصرخ إلى أن غاب عقلها تماماً فتركتهما وعادت راكضة وهي تمزق ثيابها وتنتف بشعرها وهي تصرخ بنحيب خانق لقد قتلت ولديّ أنا قاتلة وكان صراخها يمتزج بشيء من الضحك والقهقهة ثم ما تلبث أن تعود لذاك الصراخ المدوي
اجتمعت القرية بأثرها واقتادوها إلى منزلها – حيث حضرت الأجهزة المختصة لتتولى الأمر رسمياً
هي تقبع حالياً في مشفىً للأمراض العقلية تجتر حزنها الذي يلتهم نفسها أمّا ذاك الشاب فقد أودع زنزانة مظلمة في سجن المحافظة وهو يتآكل شيئاً فشيئاً ..

(5- جيهان)

على مقعد منسي كان قد ركن ومنذ زمن على رصيف شارع فرعي من شوارع العاصمة – لم أكن أصدق نفسي حين رأيته ومن شدة إعيائي أمسكت بمسنده وألقيت بنفسي على واجهته الكالحة كمحارب تنحّى جانباً ليلتقط انفاسه التي كادت أن تفارقه اثناء جولات صراع عدة مع عدو غاشم لا يفرّق بين طيّب وشرّير.

هذا ما كان يكابده هذا المقعد من عوامل وقوى تحكمت بها أياد لقوى خارقة اخرجت من جيبي منديلاً ورقياً ومسحت به جبهتي الندية ومن كيس كان معلقاً بيدي اليسرى كطفل تشبث بجلباب والده خوفاً من خطر مجهول وكان يحتوي بداخله على قنينة ماء بارد كنت قد اجبرتها على المبيت طوال الليل في إحدى زوايا ثلاجة منزلي بالإضافة لقطعتي صمون كنت قد حشوتها بشي من مربى المشمش ليلة أمس.

فتحت الزجاجة وارتشفت منها بضع قطرات أعادت برودتها التي تسللت إلى جوفي شيئاً من الحياة لجهاز ظن أنه صار من عالم النسيان أو بالأحرى صار في غياهب جحيم هذا الحر الذي سطا بجبروته على كل الطبيعة. أغلقتها وبينما كنت أعيدها إلى الكيس وإذا بظل ترافقه ريح عطرة فائقة الروعة تمر من امامي ويقف قرب المقعد .

رفعت رأسي لأرى امرأة تمسك بمسند المقعد وتجلس دون أن تنطق بأية كلمة بقيت برهة قصيرة أراقبها بطرف عيني والقنينة لم تزل في يدي وبحركة لا شعورية قدمتها لها، تناولتها من يدي كمن وجد ضالة كان قد فقدها منذ زمن طويل وقد هلك من البحث عنها فتحتها ورشفت منها بضع رشفات وأعادتها والابتسامة ترتسم على شفتيها .

- شكراً قالتها بكل فخامة
- عفواً ... الجو حار هذا اليوم .
- نعم هذه عادة الطبيعة في مثل هذه الأيام من السنة.
- نعم صحيح نحن في شهر تموز وهذا شهرٌ تضرب به الامثال .
- معك حق – ولكنّ من صار في عمرنا يعتبر قاسياً.
- لله ترتيباتٌ فهو يعين وقت كل شيء ومناسبته
- وأنعم بالله و نرجوه أن يشملنا بعطفه
- لم أنت خارج المنزل في مثل هذا الوقت؟
- أقوم يومياً بجولة سيراً على الأقدام أزور من خلالها بعضاً من صديقاتي ومن بعدها يأتي السائق لينقلني، ولكن في هذه المرة فشل مسعاي لأن من كنت اقصدها لم تكن بالبيت
- ألم تتصلي بها قبلاً ؟
- كلا لقد جرت العادة أن نتبادل الزيارات دون ترتيب مواعيد مسبقه.

- لم لم يأت السائق لينقلك؟
- لم يحن موعده بعد
- ألا تتصلين به ؟
- لا فهو يأتي في موعد محدد - قالتها وهي تنظر إلى ساعة يدها- بقي له نصف ساعة ويوافيني .
- أمر بسيط إذ لا تشكل النصف ساعة هذه شيئاً .
- قل لي ما الذي تفعله في مثل هذا الوقت هنا؟
- كنت في زيارة لقريب لي في أحد المشافي العامة ولكن العاملين هناك طلبوا مني المغادرة ريثما يقوم الأطباء بعيادة مرضاهم، وفي الوقت نفسه يتسنّى للمستخدمين تنظيف المكان .
- ما الذي يعانيه قريبك هذا ؟
- عدة أمراض من التي تصيب كبار السن لضغط الدم والروماتيزم .
- عافاه الله.
- شكراً لك .
- ما الذي تفعله في هذه الأيام؟
- أنا متقاعد.
- متقاعد من زمن طويل؟
- كلا لقد تقاعدت العام الماضي ومن وقتها صرت مندوب العائلة في المشافي العامة والدوائر الرسمية.
- كحال جميع المتقاعدين .

- نعم وبكل أسف.
- وانتِ؟
- أنا قصتي طويلة وحكايتي حكاية ولا أريد أن أزيد من همومك هماً آخر .. قالتها وبابتسامة ماكره رسمتها على شفتيها .
- لا عليك فقد نقتل شيئاً من الوقت في سماعها .
- في وقت لاحق - قالتها بطريقة من يريد أن يتملص من أمر- قل لي هل تريد أن تعمل ؟
- نعم لأنني لم أعتد على البطالة بعد .
- إذاً خذ هذه البطاقة فيها هواتفي اتصل بي وسأحقق لك هذه الرغبة ، وإلا انتظر هل لديك رقم هاتف؟
- نعم .
- سجّله لي على هذه المفكرة .

وأخرجت مفكرة من حقيبة يدها وناولتني إياها. دوّنت رقم الهاتف والاسم وأعدتها لها.

- سأتصل بك حالما يتحقق الأمر.
- شكراً لك سيدتي ...

وقبل أن أتم جملتي هذه وإذا بسيارة فارهه تتوقف أمامنا ويترجل سائقها ليفتح الباب الخلفي بكل انضباط وبعد أن ركبت أغلق الباب خلفها ومن ثم استدار لينطلق بسرعة وسط ذهول أصابني.

-من تلك المرأة التي جالستها قبل قليل؟. المصيبة أن تكون زوجة أحد الرجال المهمين دون أن أعلم!. فلتكن من تكن، لم أقم بما يسيء لا لي ولا لها.. قلت ذلك وأنا أفحص البطاقة التيي ناولتني إياها: "جيهان العظم.." وعدّة أرقام هواتف .

"لا أدري.." قلتها وأنا أغادر باتجاه المشفى كون الوقت قد حان،

ابتعت بعض الحاجيات اللازمة لمرافقتي لقريبي والتي قد تطول أو تقصر حسب استجابته للعلاج .

وبعد عدة أيام غادرنا العاصمة ليتم علاجه في المنزل الذي وصلناه مساءً بعد أن كنا قد تناولنا طعام الغداء في أحد المطاعم الشعبية المنتشرة بكثرة حول ذاك السوق العتيق الذي يتوسط قلب العاصمة القديمة .

وبعد مرور بعض الوقت قضيته بإنهاء بعض الاعمال المنزلية و الحقلية كنت خلالها قد نسيت أمر تلك المراة اللطيفة وبينما كنت أرتب خزانتي استوقفني شيءٌ في جيب قميصي. مددت يدي واخرجته وإذا بتلك البطاقة الشهيرة تفحصتها جيداً ثم اعدتها إلى مكانها وعدت لمتابعة ما كنت قد بدأته . وماهي إلا أيام وإذا بجرس الهاتف يرن ...رفعت السماعة لأسمع من الطرف المقابل صوت أنثى تتحدث بشكل جدي

- نحن شركة الأفق نريد السيد يحيى
- يحيى معك سيدتي هل من خدمة أؤديها ؟

- السيدة جيهان تريد مقابلتك غداً الساعة العاشرة صباحاً
- أين سيدتي؟
- في مقر الشركة الكائن أخر شارع ميسلون رقم البناء \210\
- حاضر سيدتي سأكون هناك في الموعد المحدد .
- حسناً إلى اللقاء.

في مقر الشركة وبعد أن ترجلت من سيارة أجرة أقلّتني من محطة الركاب دخلت مكتب الاستعلامات وقدمت نفسي لشابة أنيقة كانت تجلس خلف مكتب أنيق طلبت مني الجلوس والانتظار قليلاً، وتفرغت لإجراء بعض الاتصالات قالت لي بعدها: خذ هذا العنوان وأذهب إليه حالاً السيدة جيهان بانتظارك.

- و ما يكون ذاك المكان ؟
- فيلا السيدة
- سأقابلها في الفيلا؟!!
- نعم ..اذهب في الحال.. فالسيدة هناك وبانتظارك.

استقليت سيارة أجرة وقصدت المكان لأجد نفسي أقف أمام قصر بكل تجلياته ...تقدمت من البواب وناولته الورقة التي اعطتني أياها تلك الفتاة.

- تفضل يا أخ يحيى السيدة بانتظارك هناك في الحديقة

دخلت لأجد نفسي وسط جنة بكل ما لهذه الكلمة من معنى. الممرات وارفة الظلال تخيم على أطرافها فروع تفتحت أزهارها وكانت أغصانها قد ربطت على مشابك معدنية لتسمح لأشعة الشمس بالتسلل من بين فروعها الفضية ولتلامس صفحات خد أوراق شجيرات الزينة التي أيقظتها قبل قليل يد إلهية خارقة.

- تقدم يا سيد يحيى .

قالتها السيدة من مكانها تحت مظلة القرميد المحاط بأجمل ما خلق الله من ورود .

- صباح الخير سيدتي.
- أهلاً بك وأرجو أن تناديني بالسيدة جيهان فقط.
- حاضر
- تقدم لم تتسمّر مكانك ؟
- نعم .

تقدمت وسلّمت عليها وجلست مقابلاً لها تحت تلك القبة الرائعة .

- هذا منزلي ومكان إقامتي الدائم، قل لي.. ما الذي تجيده؟
- كل شيء سيدتي وبالأخص متابعة الأمور كوني كنت فيما مضى مندوباً خارجياً للدائرة التي كنت اعمل بها.
- يعني أنك تجيد تخليص المعاملات وما شابه ؟
- نعم وبكل تأكيد .

- ممتاز سأستفيد من خبرتك هذه لذا سأمنحك مكتباً خاصاً ضمن هذه الفيلا لتكون قريباً مني ولتتابع كل أعمالي الخاصة .
- شرف كبير لي سيدتي وسأكون عند حسن ظنكم
- حسناً ... قالتها وهي تضغط على زر ثبت جانبها ليحضر البواب :
- نعم سيدتي ؟
- أبو محمود ، خذ السيد يحيى وسلّمه المكتب هنا في الفيلّا .
- حاضر سيدتي ، رافقني يا سيد يحيى.

على يمين مدخل الفيلا كان ذاك المكتب المكون من غرفتين بالإضافة لبوفيه صغير كان في غاية الترتيب، الغرفة الأولى حوت مكتباً وبضع كراسي جلدية فاخرة، أما الغرفة الثانية فكان بها سريرٌ وبضع كراسي وخزانة ملابس صغيرة.

- هذا مكتبك سيد يحيى وهذه الغرفة قد تحتاجها إن اضطررت للمبيت.
- هل سأحتاج إليها؟
- نعم لأن الدوام مع السيدة جيهان لاوقت محدد له .
- حسناً شكراً.
- أنا عند البوابة إن احتجت لي فما عليك سوى الضغط على هذا الزر، وبقية الأزرار للتواصل مع السيدة جيهان ، وهذا الأخير لخدم الفيلا ليلاً .

اتجهت نحو المكتب وجلست على كرسيّ دوار وسرحت محدثاً نفسي: أيّ العوالم هذه التي دخلتها صدفة وكم للصدف دور في حياتنا هل نلقاها هكذا أم تأتينا بدافع من قوى خفية تمدّ أصابعها المرنة لترتب أشياء لم تكن تخطر على بال أحد ربما هذه وربما تلك.
أمضيت بقية الوقت من هذا النهار دون أن أقوم بأي عمل غادرت قاصداً قريتي على أن اعود في اليوم التالي .
صباحاً وصلت الفيلا لأجد العم أبو محمود واقفاً مكانه كما تركته يوم امس وما أن جلست خلف مكتبي حتى حضر ومعه ظروف وورقة عليها تعليمات السيدة جيهان.
تصفحت محتوى الظرف وقرأت التوجيهات وغادرت الفيلا بسيارة الشركة التي بقيت برفقتي حتى أنهيت عملي، أعادتني إلى الفيلّا لأجد أبا محمود بانتظاري حيث بادرني قائلاً :

- السيدة جيهان بانتظارك ضمن الفيلا.
- حسناً سأوافيها في الحال.

قادتني الخادمة وكانت آسيوية إلى مكتب السيدة جيهان داخل الفيلا والتي كانت اكثر ما رأيت فخامة حتى عبر شاشات التلفزة المحلية والأجنبية .

- تفضلي سيدة جيهان .
- هل انهيت كل شيء ؟

- نعم.
- ممتاز.

قالتها وهي تتفحص المستندات الواحد تلو الآخر واثناء ذلك انتبهت إلى أنني لم أزل واقفاً .
وضعت ما كان بيدها جانباً وقالت:

- الليلة لدينا عمل إذ علي مقابلة العملاء لذا أرجو أن تتحضر لذلك .
- حاضر، استأذنكم.
- مع السلامة .

في مكتبي رفعت سماعة الهاتف وابلغت زوجتي بعدم حضوري كوني سأتابع عملاً هاماً ومن بعدها تناولت طعام غداء احضرته الخادمة ومن بعدها استلقيت على سرير الغرفة الثانية وما هي إلا لحظات حتى سافرت على مركب السلطان .

الوقت عصراً وبعد أن اغتسلت وتناولت كوباً من الشاي خرجت من المكتب وفي نيتي أن استكشف معالم هذا المكان الذي سحرني منذ أن دخلته .
عبرت المدخل باتجاه الغرب لأدخل ممراً ضيقاً رصفت أرضه بقطع حجرية سوداء مصقولة وبين تلك الأحجار نبتت أعشاب ناعمة قصيرة التيلة وكانت أغصان عريشة يافعة تخيم على المكان ،ومنه دخلت ساحة داخلية دائرية الشكل حوت كوخاً خشبياً تصالبت

وتقاطعت الواحة الخشبية لتشكل قفصاً جميلاً وعلى جوانبه غرست نباتات متسلقة التفت نهايتها على تلك الاخشاب لتنسج شبكة خضراء تداخلت في طياتها أطياف بنّية كمخلوقات خرافية كالتي تمر عبر مخيّلتنا في لحظات سهونا وسرحاننا، اقتربت أكثر لأجده يحوي أرائك دائرية احتضنت جدرانه وتوسطته طاولة من الخيزران تم تغطيتها بلوح من البلور البني ليكسبها المزيد من الروعة، والذي سلب لبّي تلك الشجرة التي قطعت وركنت في زاوية المكان وهي تحتضن تلفازا يشكل خرافي كعملاق حمل ذاك الجهاز بتأن خشية أن يسقط أو يصاب بأذى وكان هناك في الزاوية الأخرى شجرة لكنها اصغر وأرفع لفت بشبكة قطنية بيضاء فبدت كامرأة انهت شوط سباحة وقررت تجفيف جسدها الغض تحت أشعة الشمس .

تابعت طريقي إلى مكان حجز فيه عدة أنواع من الطيور زاهية الألوان. وكان قفصاً معدنياً طلي بألوان زاهية مفرحة حاولت احصاء أنواعها فكانت مهمة صعبة لأنها كانت تتقافز من جهة إلى أخرى مداعبة بعضها الآخر كفريق من الأطفال متعددي المواهب والذين يحاولون استغلال آخر لحظات نهار أمضوه باللعب اللذيذ والمضني في الوقت نفسه.

مر الوقت سريعاً وأنا أتابع تلك الحركات البهلوانية لدرجة أنني أجفلت من نور مبهرعمّ المكان تلفتُّ حولي

لأجد مصباحا باهرا قد أنير خلفي وكانت قد أسدلت ستائر السماء السوداء والشفافة لتتمكن تلك المشاعل من مد أبصارها على مكان كانت تلك الكرة الجبارة قد منعتها من ذلك طيلة نهار كامل عدت أدراجي لاستقر بعض الوقت في مكتبي تمكنت خلالها من ترتيب كل ما كانت تحتويه أدراج المكتب وبذلك صرت ملماً بعض الشيء بالإعمال التي تقوم بها الشركة.

حضرت الخادمة وهي تحمل عشاءً خفيفاً مع ورقة تدعوني فيها السيدة لمقابلتها الساعة التاسعة ليلاً ضمن الفيلا .

انفض الاجتماع كان حافلاً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى بدءاً من الاشخاص الذين حضروه وانتهاءً بالاتفاقات التي تم التوقيع عليها والتي كانت تقدر قيمتها المالية بملايين الليرات .

وبعد ان غادر آخر شخص المكان طلبت منّي السيدة جيهان البقاء، وفي صالة الفيلا التي كانت تستقبل فيها كبار الضيوف من الأقارب والاصحاب،

جلست قبالتها وكانت في غاية الأناقة وبالاخص بعد أن بدلت ثيابها الرسمية وارتدت جلَّابية فاخرة مطرزة بشكل مثير لدقة ومهارة صانعها .

- قل لي يا سيد يحيى بمَ ينادونك؟
- أبو ثائر .
- حسناً كم من الاولاد أنجبت ؟

- خمسة.
- خمسة ، ما شاء الله ! كلهم ذكور؟
- بل أربعة ذكور وبنت واحدة تعمل مدرسة في ابتدائية البلدة.
- إذا فهي المدللة ؟.
- نعم لأنها تمثل النسمة الطرية في جو شديد الجفاف.
- نعم صدقت وهل أتم بقية أولادك تعليمهم.
- نعم ولكل منهم عمله الخاص .
- ممتاز، تناول قهوتك.

رشفت بضع رشفات متتالية من فنجان قهوة قدمته لنا الخادمة ماإن صرنا في هذه الصالة .

- وأنتِ يا سيدة جيهان ، هل لديك أولاد؟ إن كنت أستطيع الإطلاع على حياتك الخاصة..
- نعم لدي ابنتان وهما متزوجتان خارج القطر.
- هل لي بأن اعرف المزيد إن لم يكن طلبي هذا بشكل إحراجاً لك ؟
- لا بل بالطبع ويجب أن تعرف كل شيء عن حياتي بشكل عام لأنك ستعمل لدي وستكون من المقربين لي.
- هذا شرف كبير لي سيدتي .
- اسمع يا سيد أبو ثائر :

" أنا من أسرة غنية جداً وبعد أن أنهيت دراستي الثانوية انتسبت إلى كلية الآدب في الجامعة وكنت في غاية السعادة والنشاط لأني وضعت قدمي في أول طريق يوصلني إلى أحلامي .
ولكن ما الذي تقوله بالعادات والتقاليد التي في معظم الأحيان تكون بالمرصاد لكل طامح؟.. فقد أُنهيت فرحتي وقطعت أحلامي لأنّ أحد أقاربي قد عاد من بلاد الغربة وهو يحمل شهادة علمية عليا بالإضافة لرصيد هائل من المال أحضره معه من هناك، تزوّجت وأنجبت وسارت حياتي بشكل روتيني كجميع المتزوجات من النساء مع فارق بسيط هو المستوى الاجتماعي الذي كنت أعيشه حيث الحياة أسهل وكل متطلباتها ميسرة فالمساعدات اللاتي كن يعملن لدي لم يبقين لي أي شيء أفعله "

- إذاً انتِ تعيشين الآن بمفردك؟
- تستطيع قول ذلك .
- كيف ؟
- البيت مليء بالمساعدين والمساعدات .
- أقصد شخصياً..
- من هذه الناحية نعم .
- وحسب ما أرى فإن المستوى المالي ممتاز.
- نعم لأني ضاعفت الرصيد بعد أن توليت إدارة الاعمال بعد وفاة زوجي
- متى توفى زوجك ؟

- منذ خمس سنوات .
- رحمه الله .
- وهل الموظفون أكفياء ؟
- نعم واثقة بهم كل الثقة ولا ينقصني سوى الشخص الذي أئتمته على أسرار عملي ويكون مقرباً مني وأظن أني وجدته. وأشارت بيدها علي.
- هذه ثقة غالية أرجو ان أكون اهلاً لها.
- أطن ذلك لأن أختبار اليوم كان ناجحاً .
- حسب ما لمست اليوم أنكم غارقون في نشاطات تجارية عدة .
- نعم نحن نقوم باستيراد كل ما تحتاجه البلد ونصدر الفائض.
- هل تلتقين ببناتك دائماً ؟
- نعم بالنسبة لابنتي الكبرى أقوم بزيارتها كل بضع أسابيع لأنها تعيش هنا قريباً في لبنان

أما الصغرى فأزورها كل عام تقريباً لأنها تعيش هناك في الولايات المتحدة.

- وهل يعيشان بنفس السوية المادية؟
- نعم مع فارق الوضع الاجتماعي ، كل حسب مكان إقامته.
- هذا طبيعي ، لأن لكل مجتمع عاداته وتقاليده، وبالتالي شروطه.
- بالضبط.

- أتريدين شيئاً قبل أن أغادر؟
- لا شكراً يمكنك الانصراف.
- تصبحين على خير .
- وانت كذلك.

.....

صباحاً أحضرت الخادمة إفطاراً خفيفاً مع ظرف حوى بعض الوثائق لإتمام الإجراءات اللازمة في الدوائر العامة بالإضافة لورقة إضافية تضمنت بعض الطلبات الشخصية الخاصة بها ، حضر السائق وأقلني وكانت أولى المحطات وزارة التجارة الخارجية لاستحصال أذونات الاستيراد لبعض المواد الضرورية لإقامة ذاك المشروع الذي تم الاتفاق على إقامته خلال سهرة يوم امس.

وبينما كنت أراجع المستندات الهامة في مكتب الاستعلامات أمسك أحدهم بيدي، رفعت راسي بشيء من الحذر، وإذا بي أرى أحد أصدقائي القدامى ممن جمعتنا خيمة واحدة إبان خدمتنا الإلزامية وكذلك عندما كنا في الخطوط الأمامية على الجبهة إبان حرب تشرين.

- أهلاً جابر- قلتها وأنا أعيد الاوراق إلى ذلك الظرف ووضعه تحت إبطي وعانقته بشدة
- كيف انت يا يحيى ؟ ما الذي فعلته بك الأيام ؟
- الحمد الله المهم أخبرني عن أوضاعك .
- كل شيء على أحسن ما يرام وأنا أعمل هنا .
- هنا في هذا المبنى.
- نعم.
- ممتاز إذا تستطيع مساعدتي فيما أنا قادم لأجله.
- بكل سرور هات ارني ما لديك.
- تفضل أريد اذونات استيراد للمواد التالية،

أخذ الملف وتفحص كل محتوياته وأعاده لي وقال: "بسيطة اتبعني " وبالفعل ماهي إلا بضع ساعات حتى أتممنا كل شيء. عندها قادني باتجاه مكتبه وقال :

- تفضل هذا مكتبي سنحتسي القهوة ومن بعدها فأنت حر .
- بكل سرور كيف لا وقد انتهت مهمتي بهذه السرعة؟
- أنت تعمل لدى السيدة جيهان إذن؟
- نعم، وهل تعرفها؟
- من لا يعرفها فهي كالنار على علم .
- أهي من المشهورات في هذا المجال؟
- نعم هي من أهم سيدات الأعمال في هذا البلد.

- هذا ما علمته يوم أمس إذ حضرت توقيع أتفاق على تأسيس شركة مع بعض كبار التجار.
- نعم فأنت محظوظ كونك فزت بهذا العمل .
- ألهذا الحد؟!
- قل أكثر، فانا كلي شوق بان أتعرف عليها شخصياً
- هذه قضية سهلة أستطيع تقديمك لها وسترحب بك بالتأكيد وبالأخص عندما تعلم بما قدمته اليوم من مساعدات.
- اتمنى ذلك.
- اعدك بان أفعل وساتصل بك. آه بالمناسبة دون لي أرقام هواتفك.
- هذه البطاقة فيها كل أرقام هواتفي حتى هاتف المنزل.
- تماماً شكراً اسمح لي بالمغادرة .
- رافقتك السلامة.
- عدت ادراجي لأقابل السيدة جيهان وأقدم لها الملف.
- هل كل شيء على ما يرام يا سيد يحيى؟
- نعم سيدتي، إلا أن هناك بعض التراخيص يلزمها شيء من الوقت لتجتمع اللجان المعنية.
- امر عادي هات أعطني الملف.

- تفضلي سيدتي ..اه لقد تذكرت هناك شخص من معارفي القدماء يعمل في مقر الوزارة ولديه رغبة في التعرف عليك.
- يعمل في الوزارة ؟
- نعم وقد سهل كل الإجراءات هذا اليوم .
- ما اسمه ؟
- جابر .
- لا مانع لدي، حدد له موعداً شريطة أن يكون خارج نطاق الدوام الرسمي .
- وهذا ما يناسبه بالتأكيد .
- إذاً أبلغني بالموعد قبلاً .
- حاضر سيدتي – هل من أمر آخر؟
- لا، يمكنك المغادرة .
- إلى اللقاء صباحاً سيدة جيهان.
- مع السلامة.

في طريقي إلى القرية حيث استقليت حافلة متوسطة السعة شردت قليلاً إذ تواردت إلى مخيلتي فترة الخدمة الإلزامية وكيف تنقّلت من وحدة إلى أخرى – وكيف نجوت من الموت بإعجوبة عندما سقطت قذيفة على الخندق الذي كنت أتمركز به وكيف كان جابر وهو في غاية النشاط لدرجة التهور حيث كان يركض مغادراً الخندق ، متحدياً جنود العدو ورصاصهم لإنقاذ زميل أو

جلب صندوق ذخيرة أو ما شابه ولحسن حظه كان رصاص الأعداء يخطئه.

- لله درك يا جابر... قلتها وأنا أناول سائق الحافلة الاجرة قبل الوصول بقليل .

مساء جلست أم ثائر بالقرب مني وأنا اتناول كأساً من الشاي كانت قد أعدّته لي بعد أن انتهيت وبقيه أفراد الأسرة من عشاءٍ ريفيٍّ رائعٍ وقالت:

- كيف صارت حالة ابن عمنا الصحية ؟
- ممتازة وما هي إلا أيام ويعود إلى القرية .
- وهل سيدعه أنسباؤه يعود ؟
- بكل تأكيد فقد قاموا بما يتوجب عليهم وأكثر
- كيف هي العاصمة في هذه الأيام ؟
- العاصمة مدينة حية دائماً إلا أنّ هناك بعض المنغصات التي يعاني منها من تطأ قدماه أرضها، وفي مقدمتها تلك الغازات التي تنفثها عوادم السيارات والتي تمتزج بغبار تصاعد نتيجةً لتلك الحركة.
- هي العاصمة، وكل العواصم تكون مزدحمة بالسكان وبالأخص أوقات الدوام الرسمي .
- نعم ولكن شوارع بلدنا لا تتسع لهذا الكم من الآليات .
- هذه مشكلة فعلاً أعان الله القيمين على الأمر لحلها.

في هذه اللحظة حضر أصغر الأولاد وكان يحمل بيده حقيبة صغيرة

- مساء الخير
- أهلاً، اين كنت؟
- كنت في الملعب اتدرب .
- هل ستشاركون في المباريات لهذا الموسم ؟
- نعم .
- إذاً حضروا أنفسكم جيداً اذهب وتناول عشاءك
- وهو كذلك ، سأترككم لأنني لا أريد ان أقاطع جلستكم الرومانسية هذه .
- لله درّك! أذهب.

قالها أبو ثائر وهو يحتضن الكأس بكلتا يديه :.."أين فريال؟"

- تلاحق بعض الأعمال الروتينية ضمن غرف المنزل .
- عافاها الله فهي تحس بالملل لأن الدراسة قد توقفت.
- نعم صحيح ، اه بالمناسبة ، لقد حضرت جارتنا أم سالم وطلبت موعداً لزيارتنا.
- أهلاً وسهلاً .
- أقصد موعداً خاصاً .
- ما الذي تعنيه ؟
- حسب ما فهمت من تلميحاتها بأنهم سيتقدمون لخطبه فريال لسالم .

- على الرّحب والسعة فهم أناس كرام.
- هل أحدد لهم موعداً؟
- بكل تأكيد
- الخميس القادم ؟
- وهو كذلك
- بالمناسبة هل وافقت فريال؟
- نعم ولم تبدِ أيّ اعتراض .
- وهل سيأتي سالم ليقيم في القرية ؟
- لا أعتقد، فقد أنهى إيفاده الخارجي وسيتسلم عملاً في العاصمة قريباً كما قالت والدته.

في هذه اللحظات عاد خضر وهو ينشف فمه بمنديل ورقي وقال :

- هل تركتم لي قليلاً من الشاي ؟
- نعم هناك المزيد منه.
- ممتاز فالشاي مشروب جيد بعد الطعام .
- ما الذي يفعله اخوتك ؟
- يلعبون الشطرنج وأنا سأوافي بعض الزملاء في كافتريا الملعب .

رنّ جرس الهاتف، ركض ورفع السمّاعة، ومن بعدها ناداني للرد على أحد أعمامه الذي اتصل ليذكرني بموعد زيارة التهنئة بالقدوم من العمرة لبعض من رجال القرية .

بعد عدة أيام اتصل جابر عبر هاتفه النقال مذكراً بما كان قد طلبه ، وعدته خيراً على أن أعلمه بالموعد في أقرب وقت.

دخلتُ الفيلا بعد ان أعلمتُ الخادمة بضرورة مقابلتي للسيدة، وبعد أن أنهيت ما جئت من أجله ذكرتها بما يخص جابر، أجابت بالإيجاب على أن يتم اللقاء بعد يومين مساءً في الفيلا .
ألزمني بحضور ذاك اللقاء فرضخت لمشيئته، قدمته للسيدة على أنه شخص يمكن الوثوق به. نال رضاها بعد أن استفسرت منه عن كل شيء يخصّه كعادة رجال الأعمال الحذرين .
غادرنا دون أن يكمل ما كان يحضره بذهنه من أفكار قلت له في اللقاء التالي تأتي ومعك كل المستندات التي تدعم آراءك وبالأخص في مجال المشاريع.
وبعد مضي فترة كان جابر قد التقى السيدة بمفرده عدة مرات اتصلت وطلبت حضوري على عجل .

- أبا ثائر أريد أن استشيرك بأمر .
- أنا رهن إشارتك.
- لقد قدم لي جابر مشروع زراعي متكامل يرغب في إقامته ضمن حقله في القرية فما هو رأيك؟
- ممتاز فهذه مشاريع مربحة ومفيدة للمجتمع.
- هذا ما أعتقده ولكن هناك امر يشغل بالي.

- ماهو سيدتي ؟
- إدارة المشروع ستكون بيده وحده كوني لا استطيع متابعته مثل هذا العمل لأن موقعه بعيدٌ قليلاً عن العاصمة .
- ما الضير في ذلك طالما أنّ كلّ الاتفاقات ستوثق رسمياً نعم لكنك تعرف طبيعتي لا اطمئن إن لم أباشر كل شيء بنفسي أوعندما أكلف أحداً من الموظفين لدي.
- هذا حقك ما الذي أستطيع فعله تجاه ذلك؟
- أريدك ان تباشر هذا العمل نيابة عني .
- انا جاهز لأية مهمة.
- إذا اتفقنا فعليك متابعة كل التفاصيل منذ البداية .
- فليكن ذلك اطمئني سيدتي .

اتصلت بجابر وأبلغته بالمستجدات، شعرت بأنه امتعض لأن نبرة صوته قد تغيرت، لكنه تابع حديثه مبدياً كل تعاون مختصراً الحديث إلى أقصى درجة وأقفلنا الخط على أن نلتقي ونرتّب كلّ الأمور .

في الجلسة الاولى قدّم لي كلّ مالديه من وثائق ومستندات ومشاريع الموافقات الرسمية بالإضافة لكشف مالي يبرز دراسة جدوى المشروع . وضعنا النقاط على الحروف في كل المتعلقات على ان نلتقي بشكل دوري وأن تكون كل علاقاته وتعاملاته معي أنا شخصياً بصفتي الممثل الشخصي للسيدة جيهان.

أبلغت السيدة جيهان بكل التفاصيل الأمر الذي لاقى لديها شيئاً من الإرتياح حيث باركت ذلك على أن أقوم بإعلامها بكل التفاصيل فوراً ولكل مرحله على حدة.
وبعد فترة اضطرت السيدة جيهان للسفر خارج القطر لأمر عائلي ، دامت فترة غيابها عدة أسابيع لم أستطع خلالها من لقاء بجابر نهائياً ، إذ صار يتعمّد عدم الرد على اتصالاتي الهاتفية، ما اضطرني للقيام بزيارة لموقع العمل ولاشاهد كل شيء بأم عيني. دخل الشك إلى قلبي وراودتني الظنون السيئة إلا أنني تمالكت نفسي. غادرت وأنا احمل تلك المشاعر ريثما تعود السيدة من السفر ،حيث أنّ لديها الحل والربط.
عادت السيدة بعد فترة كنت قد عانيت فيها الأمرّين نتيجة لذاك الصراع الداخلي بين واجبي تجاه من وثقت فيه وبين صديق عمري الذي تعمّد الغياب المريب عن الساحة.

- قل لي يا سيد يحيى كيف سارت الامور أثناء غيابي ؟
- كلّ شيء على احسن ما يرام على ما أظن .
- على ما تظن؟!!
- نعم.
- عن أي المجالات تتحدث؟
- فيما يخص المشروع الزارعي .
- ما الذي حدث؟

- لا أدري لأنني لم أتمكن من لقاء جابر طيلة فترة غيابك.
- لماذا ؟
- لا أدري.
- حسناً سأستفسر ومن بعدها نضع النقاط على الحروف معاً.
- هذا ما يجب ان يكون.
- وهو كذلك يمكنك الانصراف.

استأذنكم سيدتي قلتها وانا أغادر إلى مكتبي وأثناء مكوثي رنّ جرس الهاتف وإذا بجابر على الطرف الآخر يعتذر عن انقطاعه هذا ويطلب مني موعداً لنجتمع به.

في الاجتماع الذي تمّ، تودّد لي كثيراً معتذراً عن تصرفه المريب ، وعندما تأكد من أنني لا أحمل أيه ضغينة له وبنفس الوقت قد توصل إلى أمرٍ مفاده انني في مجال العمل لا أقدم أيه تنازلات مهما كانت الأسباب والأشخاص ، لأن هذا ما تربيت عليه في بيئتي وكذلك أثناء فترة خدمتي هناك حيث كنت أعمل، حيث كانت الأوامر صارمة وكان ذلك يريحني على عكس زملائي الذين كانوا يتذمرون من تلك الدقة والشدة في تطبيق التعليمات.

بادرني قائلاً : أبا ثائر أريد ان أطلب منك شيئاً، ولما بيننا من علاقة أرجو أن توافقني عليه دون أن تطلب أيّة مبررات .

- انا أوافق على كل ما هو صحيح أو إيجابي، أما غير ذلك فإنني لا أستطيع أن أقطع أيّ وعد .
- أريد أن أقابل السيدة جيهان بمفردي دون حضور أي شخص حتى أنت.
- لم ؟
- هناك أمرٌ هام وشخصي أريد أن أتباحث به معها شخصياً .
- هذا امر تقرره هي وحدها.
- أنا بانتظار إشارتك بخصوص ذلك .
- لك ما تريد.

قابلتها وأبلغتها بالأمر مع اعترافي لها بما يثير ريبتي، وطلبت أن أحضر ذاك اللقاء ولكن من مكان قريب بحيث لا يراني، و في الوقت نفسه أستطيع سماع كل شيء لأتمكن من التدخل في الوقت المناسب.

وافقت وذلك لرغبتها في معرفة كل ما خفي عنها .

حددنا موعداً وكان يوم جمعة بعد الظهيرة في مكتبها في الفيلا وكان لذاك المكتب غرفة سريه يفصلها عنه باب متحرك يقع خلف طاولتها ويأخذ شكل ديكور خشبي مميز وكانت تحتفظ فيها بخزنة حديدية تودع فيها كل أشيائها الهامة.

وكانت قد طلبت مني الحضور بشكل سريّ دون أن يراني أحدٌ سوى البواب، وأن أجلس هناك بدون أن أصدر أي صوتٍ أو ما شابه.
حضر في الوقت المحدد، أدخلته الخادمة بشيء من الحفاوة وكان يتأبط ملفّاً وباليد الأخرى حقيبة حوت حاسوباً شخصياً، كنت أسمع كل شيء حتى أدق التفاصيل، وبعد أن قدم لها سيلاً من عبارات المجاملة بلهجة من حسب نفسه قد حشر الشخص الذي يقابله بموقف حرج.
تابع حديثه قائلاً:

- أنا أعمل بجد ونشاط .. - وما إلى ذلك من كلام معسول - إلا أنني تفاجأت بعلوّ أسعار المواد وأجور اليد العاملة ،وبالتالي تلك المصاريف التي لا تستطيع ميزانية المشروع تحمّلها، وبالتالي سنقع بالخسارة.
- تقول هذا الكلام بعد كل ما تم صرفه من مبالغ .
- هذا ما حدث .
- أنت تتحدث عن مبالغ تقدر بعشرات الملايين .
- أعلم سيدتي لكن هذا ما حدث .
- لا أثق بكلامك أرني المستندات.

أعطاها ملفاً قد أعدّه بإحكام تفحصته جيداً، استغرق الامر بعض الوقت، ومن ثم أغلقته ووضعته جانباً وقالت : سيد جابر أنا منحتك ثقتي نتيجة لضمان

صديقك أبو ثائر لذا سلمتك كل شيء وكلفته أن يتابع العمل. لم كنت تتعمد الغياب؟

- لم أرد له أن يعلم بكل هذه التفاصيل وفضلت أن تكون العلاقة بك مباشرة دون وسيط.
- كل هذا لا يبرر غيابك وبعدم إطلاعه على تلك المستجدات أوقعت المشروع بهذا المطب .
- أنت لا تثقين بي سيدتي .
- أنا أمارس التجارة ولا مكان لدي للعواطف وأنا لا اعترف إلا بالأرقام والمستندات فقط.
- هذا جزاء من يعمل بصدق؟
- أين الصدق فيما تقدمه لي ؟
- كل شيء موثّق بالأرقام ومرفق بتواقيع العمال والمستخدمين.
- رغم كل ذلك لا أجدك تقدم تبريراً منطقياً لغيابك.
- " قلت دعينا منه " قالها بنبرة عالية استغربتها لكنها تابعت حديثها.
- أريد أن أتدارس الامر بحضور أبي ثائر ومن بعدها نحكم.
- يعني سيكون هو الحكم؟
- نعم لأنني أثق به كثيراً .
- وأنا؟
- الماء يكذب الغطاس . دع الملف وغادر الآن وبعدها نحدد موعداً نجتمع به.

- كما تشائين.

قالها وهو يغادر حاملاً حقيبته الشخصية خرجت من مكمني لأجدها في غاية التوتر.

- أرجو أن تتمالكي نفسك سيدتي لكل مشكلة حل وسنحلّ كل شيء
- هذا ما أرجوه وإلا سأتصرف بطريقة لم يعهدني بها احد.

بعد أن وصلت القرية مساء اتصلت بجابر واستفسرت منه عن كل شيء علّني أتوصل لما يدور في خلده.

تحدث حديثاً لا يمتّ للواقع بصلة .قال : لقد تفاهمنا أنا والسيدة على كل شيء وصارت علاقتي بها مباشرة دون وسيط .

- يعني أنك لم تعد بحاجة لخدماتي.
- هكذا أفضل للجميع .
- كيف؟
- ليتفرغ كل منا لعمله.
- هذا جيد إن كانت السّيدة قد وافقت عليه .
- لقد وافقت لذا عليك أن تتفرغ لعملك ولتدعني أقوم بعملي بكامل الحرية.
- هذا ما أتمناه كما قلت لك، إلى اللقاء، أوصل سلامي للعائلة.

أغلقت السماعة وجلست على الأريكة محاولاً ان أجد تفسيراً لكل ماحدث لكن دون جدوى لذا قررت ترك السيدة تقرر ما تراه مناسبا.

في اليوم التالي ولانشغالي بالأمر تركت مكتبي وقصدت المدخل حيث يجلس أبو محمود الحارس كعادته

- صباح الخير أبا محمود.
- صباح النور.
- كيف تسير الامور .
- كل شيء على احسن ما يرام .
- هل هناك زوار كثر يترددون على السيدة في العادة؟
- بعض المقربين الذين يقومون بزيارات دوريه تختلي بهم السيدة في الحديقة في معظم الأوقات، إلا أنه في الفترة الأخيرة كثرت المرات التي تردد فيها السيد جابر على الفيلا .
- بحضور السيدة أم في غيابها؟
- أتى لزيارة السيدة مرة قبل أن تسافر لكنه عندما غادر حينها قال لي أنه سيتردد لبضع المرات كي ينهي عملاً كانت السيدة قد كلفته به.
- أين كان يجلس ؟
- في مكتبك
- مكتبي ؟!

- نعم إذ إني اوصلته إلى هناك أكثر من مرة ثم تركته يدخل بمفرده عندما لم أجد ما يريب
- وهل يملك نسخة من المفايتح ؟
- لا طبعاً ، لقد كنت أوصله وافتح له، ومن بعد أن يغادر كنت أقفل الأبواب .
- لم لم تخبرني بذلك ؟؟
- ظننت أنكما متفاهمان على ذلك.
- بسيطة ... قلتها وأنا أغادر بفكر مشوش .

دخلت المكتب وفتشت الأدراج فلم ألحظ ما يريب لكن بقي الشك ثائراً لدي .

وعند الظهيرة أحضرت الخادمة وجبه غداء خفيفة ووضعتها على الطاولة وهمت بالمغادرة عندها سألتها :

- هل السيدة في المنزل ؟
- نعم وضمن غرفة المكتب منذ الصباح .
- اريد أن استعلم منك عن أمر .
- تفضل .
- هل كان السيد جابر يدخل الفيلا أثناء غيابي ؟
- نعم وكانت الخادمة الآسيوية هي من تستقبله وترافقه إلى الصالة حيث كان يرتب بعض الأوراق ومن ثم يغادر .
- كم مرة فعلها ؟
- أكثر من مرة.
- هل استطعت أن تعرفي ما كان يقوم به.

- أنا أعمل حصراً في المطبخ أما بقية المنزل فمن اختصاص الخادمة الآسيوية.

تفاقم الشك عندي فحدثت نفسي :

" ما الذي تريد فعله يا جابر؟ لم كل هذا الغموض؟ لم أعهدك على هذه الشاكلة ، كم تغير السنون الأشخاص ..."

بعد عدة أيام طلبتني السيدة جيهان وأبلغتني بضرورة الاجتماع بجابر ، أبلغته بالأمر فحضر في الموعد المحدد وهو يتـأبط حاسوبه الشخصي. انعقدت الجلسة التي لم تكن لتخلوا من مشادات وانفعالات من كليهما فيما كنت احاول التوفيق إلا أن الأمر وصل لحد أنها هددته بتقديمه للقضاء أن لم يقم بإعادة كل المبالغ التي استلمها،عندها نهض وبانفعال شديد وأخرج من جيب محفظة الحاسوب قرصاً مدمجاً وقال :

- ريثما تتخذين القرار النهائي خذي هذا واطلعي عليه بمفردك . وغادر دون كلام .

أخذت القرص من يده وقلبته بيدها، ثم قامت من مكانها وهي ترتجف غيظاً، عندها قدرت أن بقائي لم يعد له فائدة لذا اعتذرت وغادرت باتجاه القرية.

وضعت القرص في حاسوبها وأدارته لتصدم بما شاهدته وكان مخزياً لدرجة القرف، إذ كيف تثنى لذاك الوحش أن يصل إلى هذه التفاصيل لأدق خصوصياتها

الشخصية؟ كيف فعلها؟ سألت نفسها إلا أنها لم تصل لجواب شاف، لذا قررت التحقيق مع خدم المنزل وبنتيجة تلك التحقيقات انحصرت كل الشكوك حول تلك الخادمة الآسيوية فهي المسؤولة المباشرة عن ذاك القسم من المنزل ، إذ لا يمكن أن يدخل أحد إلى ذاك المكان إلا بإشرافها وحضورها، لذا قررت محاكمتها وكانت النتائج في غاية الخسة والدناءه ، حيث استغل ذاك الرجل طيبة تلك الخادمة ودخل عليها بشكل موارب متلاعباً بعواطفها، بعد عدة أحتكاكات بينهما قدم لها عواطفه على طبق من فضة، ووعدها بالزواج وبالتالي بالجنسية فتصبح مواطنة حرة في اختيار العمل الذي تريده دون ابتزاز مكاتب العمل.

سمحت له بدخول القسم الخاص بحجة أنه يريد الاطلاع على تفاصليه كي يعيده في بيت الزوجية المزعوم، وكان يصور كل تفاصيل المكان بواسطة جهازه المحمول ومن ثم احضر كاميرا وقام بالتصوير مبرراً ذلك لتلك الخادمة بنفس الحجة كون المهندس المشرف على البناء طلب ذلك.

وذات مرة بينما كانت الخادمة تعد له القهوة قام بتثبيت عدة كاميرات حساسه في أماكن حددها بدقة وبعد عدّة أيام حضر وأزالها وغادر، وبالتالي ما كان يحويه ذاك القرص يتضمن أدق تفاصيل حياتها الخاصة جداً والتي تعتبر من المحرمات على الآخرين الدنوّ منها.

قررت السيدة التباحث مع محاميها الذي نصح بان تقدّم كل ما لديها للجهات المختصة على أن يتم ذلك بشكل سريّ أو على الأقل ينحصر ذاك الأمر ضمن أضيق دائرة.

وبالفعل تم القبض على ذاك الفاجر الغادر والحكم عليه بالسجن وإعادة كل المبالغ التي اختلسها مما اضطره ليبيع كل ما كان قد ورثه عن اهله من أراضٍ وعقارات وما كان نشر عن تلك القضية أنه تم ضبطه متلبساً باختلاس الأموال أما تلك الخادمة فقد أودعت السجن لفترة بسيطة وتمّ ترحيلها إلى بلدها.

تمّ ذلك دون خسائر تذكر إلا أنّ الأمر قد ترك خدشاً بقيت آثاره لفترة ليست بالقصيرة في نفس سيدة كان كل ذنبها أنها وثقت بشخص لا يمكن أن يطلق عليه سوى لقب الغادر.

(6- هناء)

في خضم ازدحام الشوارع في العاصمة عند الصباح في بداية الدوام الرسمي لكل جهات الدولة بالإضافة لما ترفده المدارس لذاك السيل من البشر .

وقفت هناء تلك العاملة في إحدى شركات القطاع العام، صبية في مقتبل العمر لم يتجاوز عمرها الثانية والعشرين لأنها وبعد أن حصلت على الشهادة الثانوية قررت البحث عن عمل تعيل نفسها، وتساعد أسرتها لضيق ذات اليد الذي تعاني منه كبقية الأسر، تقدّمت لأول مسابقة تعلن عنها تلك الوزارة فكان لها ما أرادت، حيث كانت ممن حالفهم الحظ بالفوز بتلك الفرصة التي تعتبر نادرة في ذلك الوقت، ولكون مواقف الباصات التي تقل معظم العاملين في القطاع العام والخاص بالإضافة لسيارات مبيت العسكريين تكون متقاربة ، يختلط كل هؤلاء ساعة الذهاب وعند الإياب فتحدث احتكاكات بعضها مريح وبعضها الآخر رغم قلّته مزعج ، إذ لا تخلو أنفس الناس من بعض الضعف الذي يصيب المستعدين له من كلا الجنسين .

لفتت هناء نظر شاب حيوي نشاطه واضح لمن يدقق ولو قليلاً في حركات الواقفين هناك في ذاك الحيز من الرصيف .

ولميزاته هذه الفضل الأكبر في سرعة التقريب بينه وبين من شغلت قليلاً من انتباهه في البداية إلى أن تطورت لتصبح الحائزة على كل ملكاته وأدوات تميزه .
تقدم منها وبادرها بالسلام ردت عليه بكل وجل وكان ذلك صباح يوم ربيعي منعش حيث الطبيعة قد بدأت تتنفس الصعداء بعد إزاحة القسم الاكبر من دثارٍ سميك بكل ما تعنيه الكلمة كان يثقل على نفسها لدرجة جعلها تتصبب عرقاً لشدة وطأته وهول مغامراته عندما كان يفاجئها بين الحين والآخر بألعابه النارية فيجبرها على فتح فمها على مصراعيه، لتتلقف ما تنثره من حبات حملت في مكنوناتها سر الحياة بكل محتوياتها وبذات الوقت لتحتفظ بالفائض في ذاك البطن الذي لا يشبع كما يقول المثل .
إلا انها ولشدة حرصها فإنها تجمع كل ذاك الرصيد وتضعه تحت تصرفها تهديه من تشاء من أبناءها كبقية الأمهات اللاتي رغم كل حنانهنّ فإنهن يميزن ولداً عن الآخر رغم ما تُرَدِّدنه أنهم كلهم أبنائي.
تكرّرت تلك المبادرات من تحيّة إلى السؤال: كم هي الساعة؟ إلى تبادل يضع كلمات عابرة ما لبثت أن صارت كلمات مجاملة تطورت لتصير من ضروريات الوقفة تلك حيث الانتظار القسري للحافلات .
تمكن كل منهما من معرفة أشياء عدة عن الآخر بدءاً بالاسم حتى بعض التفاصيل الهامة والتي ترضي ذوات

الذين يسألون. ولأنها لم تزل عزباء حفّزه ذلك على التمادي أكثر والمبادرة بطرح فكرة الارتباط بها التي تلقتها بحياء العذارى اللاتي يتمنعن وهن راغبات .

لم ترد على طلبه فوراً بل طلبت فترة للتفكير، طالت تلك المهلة لدرجة صار إلحاحه مزعجاً بالنسبة لها، لأن الضغط الذي صار يمارسه عليها لتحقيق ذلك لا يحتمل، فصارت تحسب حساباً لتلك الوقفة وصارت تتعمد التأخر قليلاً تقصيراً في المدة التي تضطر لقضائها بإنتظار الحافلة .

وكان من اهم أسباب حيرتها وترددها هي أنه ينحدر من تلك المنطقة الحدودية البعيدة كثيراً عن مسقط رأسها، بالإضافة لذاك الاختلاف بالطبقة الاجتماعية والفكرية بين المنطقتين التي تكرس اختلافاً في العادات والتقاليد.

الأمر الذي كان يقف حائلا كلما عزمت إخبار اهلها بالأمر ولأنها تعرف مسبقاً بأنها ستصدم بالرد.

إلا أن ذاك الضغط الذي مارسه عليها أتى أكله، فقررت مفاتحه والدتها بالأمر التي قامت بطرح الموضوع على والدها وبقية أخواتها من الذكور والإناث .

تردد الجميع للأسباب التي تم ذكرها في البداية إلا أنه ورضوخاً لإصرارها وافق الجميع على أن تتمّ الخطبة لفترة من الزمن تستطيع البيئات خلالها التقارب وبالتالي التعايش تمهيداً للعيش المشترك بين الشابين .

تمّت الخطبة ، أحضر وقتها رجلاً متوسط العمر قدمه على أنه قريبٌ له ويعتبره بمثابه والده المتوفي منذ مدة.
وافق الاهل على ذلك وتم الاتفاق على كل الامور تماشياً مع العادات الجارية .
سارت الامور بهدوء وراحة في الفترة الاولى إلا أن الفترة المحددة للخطبة قد شارفت على الانتهاء وبالتالي صار لزاماً عليه تنفيذ ما وعد به.
وصار كلما فوتح بالأمر يقدم أعذاراً عدّةً ،تارة يقول بأنه يخضع لدوره تدريبه، وتارة أخرى بأن المنزل الذي باشر ببنائه في بلدته تتعثر مراحله لأسباب عدة وكان على رأسها العثرات المالية، لذا صارت تقطع قسماً من راتبها وتنقده أياه مساهمة منها في بناء بيت الزوجية .
شعرت تلك الاسرة بالضيق الذي يحسه الاهل في مثل هذه الظروف، والتي قد لا يتحملها الأهل فتكون في معظم الحالات السبب المباشر لعمليات فض وفسخ الاتفاقات .
إلا أن والدها كان من صنف الرجال الهادئين والمتفهمين لذا مرر كل هذا الوقت الذي قارب الأربع سنوات عانت فيهما الاسرة الامرّين.
ذات يوم قام أحد اصدقاء أخواتها بزيارة لمنزل العائلة وكان ذاك الشاب في مقتبل العمر نشيط جداً ومن ذوي الخبرة الفنية في مجالات عدة كالخط والرسم وصناعة

الإعلام والإعلان تناول اثناءها طعام الغداء معهم، تبادل معهم احاديث عدة عرف أشياء كثيرة عن حياتهم فيما ذلك تلك الخطبة الشهيرة التي استغربها تماماً وأنهى الأمر عند هذا الحد.

تكررت الزيارات لذاك البيت . أسهم في ذلك تلك العلاقة العملية التي ربطته بأخيها الأكبر حيث قاما بتأسيس شركة إعلان صغيرة وتطورت لتصبح من الشركات الذائعة الصيت في هذا المجال الهام.

ولأنه لا يفوت أي أمر يرتاب به ومنه قرر الغوص في خفايا تلك العلاقة غير المريحة حسب رأيه بين أخت صديقه الذي يعتبرها بمثابة اخت له وبين ذاك الرجل الغامض، لذا قرر الاستعلام أكثر عن كل شيء وخصوصاً ما يتعلق بذاك الشاب، وما هي إلا بضع أيام حتى تمكن من معرفة كل شيء عن ذاك الرجل من هناء وذلك من خلال اسئلة كان يطرحها عليها بين الحين والآخر.

وكان مما حفزه أكثر على المتابعة تلك الحركات التي كانت تصدر عن الجميع كإشارات الوالد الذي هو صاحب القرار، برر ذلك في البداية إلا أنه لم يقتنع لذلك قرر المثابرة في هذا الموضع.

استفسر منها عن بعض التفاصيل التي توصله إلى ذلك الرجل الغامض الذي لم يلتق به نهائياً رغم تكرار الزيارات لمنزل ذويها ، الأمر الذي اضطره للسفر إلى

تلك المنطقة التي تقع فيها وحدته المزعومة فلم يجد له أثراً، لم يحبط ذلك من عزيمته فقرر معاودة مقر إدارة شؤون العامة في العاصمة للاستعلام عنه' فتوصل إلى معلومات تفيد بأنه أحد أفراد تلك الهيكلية الهامة وهو من منطقة نائية هناك قرب الحدود ويقوم حالياً بأداء واجبه في وحدةٍ مقرها إحدى المناطق الداخلية وهو متزوج من امرأة ذات شأن هام في تلك المنطقة.

سافر إلى مقر عمل عمران هذا، ولمحاسن الصدف كان قائد تلك الوحدة من معارفه القدامى، تمّ استدعاؤه بعد أن طلب من ذلك المسؤول الانفراد به لأن هناك حاجة خاصة عليه تسويتها معه . وما إن صارا بمفردهما حتى قدم نفسه له على أنه من أقارب خطيبته تلعثم في البداية، ولكن لإصرار فواز هذا الذي تولى تلك المهمة وعده بأن ينهي الوضع خلال اسبوع وأن تكون الأمور على احسن ما يرام .

مرّ الأسبوع الأول وتلاه الثاني والثالث وبعد مضي اكثر من شهرين على ذاك اللقاء قرر فواز أن يواجهه بشكل شخصي.

تربص له بالقرب من موقف المبيت الخاص به وعندما حضر أمسك به مستفسراً وعندما لم يتلق الرد الشافي ألقاه أرضاً وراح يكيل له اللكمات على مرآى من زملائه الذين تراكضوا لفض النزاع، حيث قام عمران

هذا يتهدئتهم وترك تسوية الامر له كونه من أقاربه ولا يريد توسيع شقه الخلاف.
لم يتركه فواز إلا بعد أن ألزمه بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه بأقرب وقت.
خلال تلك الفترة ونتيجة لضغوط كانت قد بدأت تمارس على هناء من محيطها قررت البوح لفواز بأمر هام حدث لها وأجبرها على قبول ذاك الوضع غير المريح.
كانت صدمته بما سمع أكبر من أن يتخيلها لذا قرر حسم الأمر بمفرده دون إعلام اهلها حرصاً منه عليها وعلى مشاعر اهلها وذلك عبر إلزامه بتنفيذ ما وعد به وإلا سيقوم بتصفيته جسدياً وبالأخص عندما علم بما فعله ذاك الخسيس .
وعندما لمس عمران ذلك قرر ان يواجه فواز فابتدأ بالتهديد حيث أرسل له من يلاقيه في الشارع ويغافله ولكن لحسن حظ فواز قد تمكن من التخلص دون أن يصاب بأذى، ثم تحول إلى أسلوب الترغيب حيث أرسل له مبلغاً لا بأس به من المال مع احد معارفه وعندما لم يتلق الرد المريح قرر أن ينهج الاسلوب الرسمي حيث قرر تقديم شكوى بحقه بتهمة انتحال صفة والاعتداء على رجل رسمي أثناء عمله.
واستدعى فواز للتحقيق معه، وللمرة الثانية كان ذاك المحقق من معارفه الذي ما إن علم بحيثيات الموضوع حتى قرر حفظ ذلك التحقيق مع نصيحة قدّمها لفواز بأن

يقوم أحد أفراد أسرتها بتقديم شكوى رسمية بحقه بتهمة خيانة العهد

وقبل أن يقرر البوح للأسرة بما جرى قرر التحري عن الأمر، وذلك بدءاً من تلك الشقة التي استدرجها إليها عمران بحجة معاينتها لغرفة نوم قرر أحد أصدقائه بيعها لسبب يخصه، وما إن صارت هناك قام بتقديم شراب لها وما إن استفاقت من غفلتها تلك حتى اكتشفت الحقيقة التي تهز كيان كل فتاة عندما تفقد أعز ما تملك حسب موروثها.

اعترف له صاحب الشقة بأنه على علم بما حدث وانه على استعداد بأن يدلي بشهادته إن لزم الامر .

إلا أن ذاك الرجل قد بدأ يتلاعب ويراوغ محاولاً ابتزاز فواز بحجة أنه يملك تسجيلات بالصوت والصورة لما حدث.

لكنه كان قد فاته شيئ هامٌ ألا وهو أنّ فوازاً هذا وبحكم مهنته ومعاشرته وتعاملاته في الوسط الفني قد حضر وجهز نفسه جيداً، إذ أحضر معه جهاز تسجيل أخفاه في ثيابه سجل كل الذي دار بينه وبين ذاك الرجل لذا أرتدع وعاد لرشده.

استعمل فواز كل ذلك لزيادة الضغط على عمران هذا الذي لم يرتدع، مما اضطر فواز بأن يتجرع سماً كان كل ما فعله سابقاً كي لا يصل إلى هذه المرحلة حيث

صار لزاماً وضع العائلة بصورة ما حدث كي يتخذ الاجراء اللازم.
وبالفعل تم تقديم شكوى ضد ذاك المخادع مرفقة بشهادة صديقه وأقوال الفتاة حيث أودع السجن وهدد بالقضاء على مستقبله وعلى حياته العائلية
أخيراً رضخ وأجبر على تسوية الأمر كما تحب الفتاة ويرضي اهلها .
عقد القران وبعد برهة من الزمن ألزم الأهل ذاك الرجل بفض ذاك الزواج الذي لم يتم .
تنفست الفتاة وعائلتها الصعداء بعد ذلك الامتحان القاسي الذي مرت به وبالرغم مما تركه في نفسها من آثار إلا انها عاهدت نفسها بأن تقدم النصح لكل ما تصادفه ويمر بنفس الظروف وأن يتوخى الحذر، وأن يحتاط بعائلته ملاذه الوحيد والأخير مهما كانت الظروف كي لا يقع بين يدي غادر متحفز.
وذلك تحقيقاً لقول الشاعر:
بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنّوا علي كرام

(7- مها)

"شغف الخطيئة"

- يجب ان تأتي لزيارتنا هذه الليلة يا سامي لانني سأرتب جلسة نستعيد من خلالها بعض الذكريات من الأيام الخوالي .
- سأحاول أن أفعل لأنّي في غاية الشوق لجلساتكم المميزة .
- لا تنسَ.

قالها سعيد وهو يغادر المحلّ الذي يعمل فيه سامي.

- لمَ أصرَّ عليَّ بهذه الطريقة بعد طول انقطاع ؟أيعقل أن يكون قد حنّ للأيام الماضية ؟.. ربما، لا أدري سأذهب وأرى إن كانت الجلسة كما كانت تتم سابقاً، وإن كان غير ذلك سأغادر.. قالها وهو يتابع بعض حركاته الروتينية داخل المحل

- مساء الخير يا سعيد.. قالها صالح وهو يحاول أن يستقل سيارته الواقفة بالقرب من محل سامي .
- أهلاً صالح كيف هي أحوالك ؟
- بخير وانت ما هي اخبارك ؟
- على أحسن حال، ألم تحن الفرصة لنعيد جلساتنا السابقة ؟

- نعم نحن في هذا الصدد، لقد دعوت سامي للحضور إلى منزلي اليوم مساءً.
- في منزلك؟
- نعم لأنّ البيت رحب كما عهدته ونستطيع استغلال الحديقة لهذا الأمر فالجو سيكون ساحراً ليلاً.
- نعم وهل أستطيع دعوة كل من صلاح و محمد ؟
- نعم بالتأكيد ولتكن ساهرة عامرة نعيد خلالها وصل ما انقطع .
- إلى اللقاء إذاً التاسعة ليلاً.

سار سعيد على قدميه ملتفّاً حول الحي الذي يقبع فيه محل سامي ليصل إلى ذلك السوق العتيق الذي تباع فيه كل الأشياء وبالأخص اللحوم المقددة وكذلك المكسرات، اشترى كل ما تحتاجه السهرة ثم اقفل عائداً إلى منزله.

- مها، أين أنت؟ قالها وهو يئن تحت وطأة الحمل الذي اشتراه .
- أنا هنا في المطبخ .
- تعالي واستلمي مني ما أحضرت.
- لم كل هذه الحاجيات .
- لقد دعوت أصدقائي سامي وصلاح ومحمد وسيأتون لزيارتنا الليلة لذا أرجو أن ترتبي لنا جلسة أريدها ان تكون من جلسات العمر.
- من قلت؟ سامي !
- نعم وبقية الأصدقاء.

- أهلاً بهم جميعاً سأحاول تجهيز كل شيء ، متى سيأتون؟
- حوالي التاسعة ليلاً .
- ممتاز سيكون لدي متسع من الوقت وإن أضطررت فسأطلب المساعدة من بعض جاراتي .
- لك مطلق الحرية، أنا ذاهب لاحضر بعض المشروبات هل تريدين أن أحضر شيئاً معي؟
- انت كريمٌ ونحن نستحق قالتها بغنج.
- نعم بالطبع قالها وهو يغلق الباب خلفه.

حدّث سامي نفسه وهو يتابع ترتيب السلع في المحل قائلاً:

- " سأقابل مها بعد كل هذه المدة.....يا ترى كيف آلت إليه حالتها؟ ألم تزل ناعمة وجميلة؟ كم أنت محظوظ يا سعيد لقد سبقتني إليها وفزت بقلبها ، إيه كل شيء في هذا الكون يتبع لمشيئة عليا وقدر ما.
كم كانت لطيفة! لقد لفتت انتباه كل الشبّان حينها لرشاقتها ودماثة خلقها، أتذكر كيف كنّا ننتظرها كلٌّ في مكان معين كي تمر من أمامه أثناء ذهابها وعودتها من المدرسة، مع حرصنا على ألّا يعلم أحد من رفاقنا بما يدور في أذهاننا.... كم حلمنا بها!.
هذا ما كان يردده البعض ممن التقيتهم بعد أن تزوجت من سعيد، لكن بالرغم من أنّها استقرت بعيداً في ذلك

الحي العريق في منزل كان سعيد قد ورثه عن جدته لأمه والتي كانت قد منحته أياه رسمياً قبل وفاتها.... يا ترى هل تتذكرني ؟...ربما، لا أدري.

- مرحباً سامي أعطني علبتي لبن من فضلك. قالها أحد الزبائن بعد ان دخل المحل .
- حاضر على الرحب والسعة
- كم تريد؟
- مائة ليرة فقط
- تفضل
- شكراً جعلها الله من المأكولات الشهية
- في هذه اللحظات دخلت زوجته سعاد وهي تضع على عينيها نظار شمسية
- مرحبا سامي.
- أهلا إلى أين العزم ؟
- سأزور اختي ميساء وسآخذ معي بعض الحاجيات
- اختاري ما تشائين .
- وهو كذلك.

قالتها وهي تنتقي ما تريد وتصفه على الطاولة ثم سحبت كيس وملأته بالحاجيات

- هل ستتاخرين
- لبعض الوقت ، لم تسأل؟

- لانني تلقيت دعوة على العشاء في منزل سعيد صديق طفولتي وسيكون هناك الأصدقاء
- متى ؟
- اليوم مساء.
- إذا سأبقى هناك إلى ان تنتهي سهرتك ومن بعدها تأتي لتصطحبني.
- خيراً تفعلين .
- إلى اللقاء.
- مع السلامة، وسلامي لأختك وزوجها وأولادها.
- سلمك الله . قالتها وهي تغادر .

وما إن وصلت سعاد إلى بيت أختها حتى هجم عليها أبناء أختها متعلقين برقبتها كما يفعل معظم الأطفال في العادة.

- أهلاً سعاد - قالتها ميساء - كيف خطرنا على بالك
- انتم دائماً على البال لكن أنت تعلمين مشاغل سامي وبقاءه لفترات طويلة في المحل .
- تفضلي سأنهي ما أقوم به و أوافيكِ.
- لا عليك فالأولاد يقومون بالواجب وأكثر .

أمّا مها فقد أنهمكت بما كلفها به زوجها هي شاردة الذهن وتحدّث نفسها :

- " هل بقي الشباب على حالهم كما عهدتهم؟ وبالأخص سامي الذي كان أكثرهم حيوية وبراعة "

هزّت رأسها وهي تتابع عملها حيث كانت تقوم بفرم الخضار لتجهيز التبولة وبينما هي ساهمة هكذا دخل سعيد وهو يحمل عدة أكياس وضعها على الطاولة بتأنّ سمع من خلالها قرقعات الزجاجات .

- هل أساعدك ؟
- لا شكراً ماهي إلا لحظات وانهي كل شيء وأترك لك تجهيز الطعام ، ما الذي احضرته؟
- قطع دجاج، لحم مقدد ، وبعض المعلبات مما تحتاجه جلسة كهذه.
- إذاً قم بتنظيف اللحوم و اخلطها جيداً بالتوابل ومن ثم غلفها جيداً وضعها في الثلاجة كي تتشرب ذلك .
- أحسنت هذا ما سأفعله ومن بعدها سأرتب مكان الجلسة هناك في الحيز الجنوبي من الحديقة.
- ممتاز فهو مكان واسع ومتجدد الهواء .
- وهو كذلك.

قالها وهو يحمل كيس اللحمة ليفرغه في مصفاة بلاستيكية ومن بعدها أضاف إليها كل ماتحتاجه من توابل ثم غلفها جيداً ووضعها في الثلاجة ومن بعدها قام بترتيب مكان الجلسة وكان بين الحين والآخر يبتعد

قليلاً يشاهد الجلسة عن كثب ثم يعود ليقوم ببعض التعديلات إلى أن صار كل شيء كما رغب.

مساءً اجتمع الاصدقاء وكان لملاقاتها لهم بإبتسامتها التي لم تتغير الوقع الكبير في نفوسهم جميعاً، حيث عاد منهم بذاكرته إلى أيام اليفاعة وما كان يفكر به وما حلم به، وبالأخص أن هذه اللطيفة كانت محور أهتمامهم جميعاً .

- أهلاً بكم في منزلنا المتواضع قالتها مرحبة .
- كل أماكنكم رحبة.

قالها سامي كعادته حينما يريد أن يتصدر الحديث إذ ما إن يستلم ناحية الحديث حتى يسترسل .

- هل نساعدكم بشيء ؟
- هنا الخدمة ذاتية .

قالها سعيد لذا قام الجميع وبدأوا بنقل الأوعية وبقية الحاجيات من المطبخ ، وهنا وقعت الواقعة إذ يصادف مرور كل من سامي ومها من باب المطبخ لأكثر من مرة حيث كانا يتبادلان الابتسامات خلسةً.

وبدأت السهرة ،جلست مها بجانب زوجها على رأس الطاولة بينما توزع الباقون حول الطاولة، وللمصادفة الثانية أن جلسة سامي كانت بجانب مها من جهة اليسرى.

تبادل الجميع الأنخاب رفعت مها كأس جعةٍ ورشفت منه ، ثم أعادته بينما كانت كؤوس الأصدقاء تقرقع نتيجة للطرقات المتبادلة .

مضى بعض الوقت بأحاديث جانبية أساسها استعادة بعض الذكريات وما شابه من مواضيع تثار في مثل هذه الجلسات، وبالاخص بين أصدقاء مضى على آخر لقاء بينهم عدة سنوات .

صدفة كانت أم عن سابق قصد لا مست رجل سامي ساق مها التي طرفته بعينها لتشاهده يسرق النظر إليها وهو يعب من كأسه جرعة كبيرة.

لم تبالِ بالامر إلا أن شيئاً ما قد بدا يتحرك داخلها كسرب نمل انطلق من أسفل كاحلها صاعداً وما إن صار أعلى وسط جسدها شجعته لمسة أخرى من قدم سامي فاندفع صاعداً بسرعة ليلامس شغاف قلبها الذي تسارعت وتيرته وبدأ يدب عليها بأقدام يكاد يكون وقعها أقرب إلى المداعبة من السير، حيث سرت قشعريرة عمّت الجسد البضّ بكامله لحدٍ كاد الكأس يسقط من يدها ، عندها سارعت لوضعه على الطاولة وبيدها مسحت جبينها الذي صار يشع ضياء لمرور تلك الشحنة عبرة وهي في طريقها إلى تلافيف مخ كامنٍ هناك في حجرته العاجية نزلت بيدها على خدها الذي اشتعل حمرة، تابعت نزولاً أكثر لتلامس شرايين رقبتها التي تزايدت وتيرة نبضها لدرجة أنها قامت وغادرت

الجلسة باتجاه المطبخ دون كلام، حيث جلست على كرسي خاص بها خلف طاولة الطعام شارده اللب.
وبعد برهة قرر سامي أن يقلب كأسه بحركة بانت غير مقصودة اتسخت ثيابه نتيجة لذلك مما اضطره للمغادرة باتجاه المغلسة كي يمسحها بالماء

- هل تريدني أن أرافقك؟ قالها سعيد
- لا داعي

كان يبلل يده بقليل من الماء ويمسح قميصه وهو يفتش بعينيه عن ضالته تلاقت المقل، لتصدم اكثر بقدومه خلفها، وبهذه الاوقات بالذات مما زاد من ارتباكها لدرجة أنها عجزت عن النطق مكتفيه بالتحديق بعيداً حيث تلاقت الأشعة الربانية وحدث مالم يكن بالحسبان إذ ارتدت السهام لتنغرس عميقاً في أقصى جزء من خفايا ما خصّه الله وكرسه في داخل هذا النوع من الكائنات الحية التي يطلق عليها اسم إنسان.
عاد سامي إلى مكانه بعد فترة ليست بقليلة ومن بعده عادت مها وجلست شاردة طيلة الفترة الباقية من السهرة دون أن تنطق بأية كلمة .
كل هذا صار وحدث دون أن يشعر أحد أنه ممن كان حاضراً تلك السهرة لأنّ معظمهم كانوا يحاولون أفراغ مخزون ذكرياتهم لبقية الاصدقاء

انتهت السهرة وغادر الاصحاب وبقي كل من مها وسعيد حيث أعاد كل شيء إلى ما كان عليه ومن ثم استسلما لنوم عميق .

وفي اليوم التالي وبينما كانت مها تعدّ القهوة في المطبخ كان سعيد يتصفح ورقة جريدة قديمة وقعت بيده، سألته قائلة:

- اين يقع محل سامي؟
- لم تسألين
- أريد أن أقوم بزيارته وجلب بعض الحاجيات.
- فكرة صائبة، محله يقع في الشارع السادس من المنطقة الثانية ولمجرد ان تدخلي الشارع تشاهدين اليافتة التي تشير إلى المحل .
- حسناً سأجد وقتاً لذلك .
- هز سعيد رأسه موافقاً كعادته عندما لا يكون راغباً في التعليق .

وبعد عدة أيام غادرت مها المنزل بعد أن ارتدت أجمل ما لديها من ثياب قاصدة محلّ سامي الذي كاد ان يسقط من على السلّم عندما رآها تدخل المحل بوجهها المشرق .

- صباح الخير سامي.
- اهلاً اهلاً.

قالها وهو ينزل عن السلّم، وضع ماكان يحمله على الطاولة وسلم عليها بكلتا يديه وبقي ممسكاً بيدها وهو يهلل مرحباً ، سحبت يدها بشيء من الغنج وقالت :

- محلك رائع يحوي كل شيء تقريباً.
- المحل وصاحبه طوع أمرك فقط اشيري ببنانك .
- شكراً أريد هذه الحاجيات المدونة في هذه الورقة

مدت يدها وناولته ورقة مطوية بشكل أنيق . استلم الورقة وعيناه مسمّرتان بالوجه الصبوح، طوى الورقة بعد أن قرأ ما فيها ثم وضعها على الطاولة ، ومدّ يده وسحب كرسياً من خلف الطاولة وقدّمه لها طالباً الجلوس ثم قام بإحضار زجاجة مشروب غازي ناولها إياها دون كلام .

تناولتها من يده شاكرة وبدأت تمص السائل وهي تحدق به كمن يتلذذ بارتباك شخص شغل ولو حيزاً صغيراً من تفكيره .

- شكراً قالتها وهي تضع الزجاجة الفارغة على الطاولة ثم سألته
- هل جهزت كل ما طلبته ؟
- نعم وهذه هدية من المحل وصاحبه.
- لا داعي لان تكلف نفسك .
- نحن نقدم الهدايا الرمزية لأعز الزبائن.
- اعز الزبائن فقط أم لكل امرأة تدخل المحل .
- لا صدقيني للأعزاء فقط .

- شكراً لك على كل الاحوال تفضل. وناولته قطعة نقدية من فئة الألف ليرة.

أعاد الباقي وحمل الكيس وخرج وراءها حتى باب المحل ثم قام بتسليمها إياه.

جلس بعد أن غادرت شارد الذهن، ثم ما لبث أن حدّث نفسه قائلاً: " لم أتت هي بنفسها بدلاً من سعيد ؟ هل لها أيه مآرب من وراء ذلك؟ هل تركت تلك الحركة أي أثر في نفسها؟ لا أدري لكن يجب أن أعرف "

قالها وهو يفرك صدغيه .

خلّصه من حالته هذه دخول رجل برقفة صبي صغير لجوج أحدث ضجة مثيرة في الفترة القصيرة التي أمضياها داخل المحل وكانت النتيجة أن اشترى الرجل كل ما طلبه الصبي.

- أتركت زيارتي هذه أي اثرٍ في نفسه يا ترى؟ أظن ذلك ، لأنه ممن لا يمررون الأحداث هكذا وسأكتشف ذلك بنفسي في الأيام المقبلة .

قالتها مها وهي تنظر من خلال نافذة سيارة الأجرة إلى الشارع .

مساءاً بعد أن تناول سعيد عشاءه ، جلس في شرفة المنزل التي تطل على الحديقة . جلبت مها صينية حوت إبريقاً وكأسين فارغين وجلست، وبينما تسكب الشاي قالت وهي تقدم الكأس لسعيد:

- لقد ذهبت واشتريت بعض الحاجيات من محل سامي .
- هل أحضرت كل ماتحتاجينه وهل كان متساهلاً.
- نعم وسأكرر ذلك كلما استدعت الحاجة .
- لا بأس فهو صديقنا وفائدته تسرنا .
- نعم صحيح أه هل زوجته جميلة؟
- لا أدري لأنني لم ألتق بها نهائياً .
- أبداً !
- نعم، ألم أقل لك أن لقاءنا كان محض صدفة وبعد انقطاع طويل .
- يجب أن تتعرف عليها .
- هذا واجبك .
- سأفعل ذلك في القريب العاجل .
- حسناً . قالها وهو يرتشف من كأسه متلذذاً.

مساء عاد سامي من عمله متعباً وبمزاج عكر.

- عافاك الله - قالتها زوجته كعادتها - أتريد أن أحضّر لك عشاءك؟
- لا أريد .
- هل تشكو من شيء ؟
- لا شيء مجرد تعب وقلة مزاج فقط.
- هل لاقيت متاعب هذا اليوم؟
- لا يخلو الامر من بعضها

- هذا أمر طبيعي كونك تتعامل مع شرائح كثيرة من المجتمع وعليك تحمل كل الأمزجة .
- نعم إنها مهمه متعبة .
- صحيح إلا أنه لا شيء بدون مقابل في هذه الحياة.
- صحيح كونكِ أحببتِ قلب الموضوع، بالمناسبة يجب أن تتعرفي على زوجة سعيد .
- لا مانع لدي فأنت تعرفني أحب العلاقات وكثرة اللقاءات .
- سندعوهم لزيارتنا كردّ على تلك المأدبة ما رأيك
- وبقية أصدقائك ؟
- سندعوهم كذلك .
- وزوجاتهم أيضاً؟
- بالطبع .
- سأفاجئهم بمهارتي إن فعلت .
- أنت أهل لذلك سأرتب الموعد وأخبرك .
- ممتاز. قالتها وهي تغادر المكان .

بينما كان سامي يجتاز الشارع الموصل إلى محله ألتقى وجهاً لوجه بسعيد الذي كان بدوره يحاول الوصول للطرف الآخر من الشارع بسرعة.

- أهلاً سعيد.
- أهلاً بك لقد وفرت علي ثمن مكالمة هاتفية .
- ألم تزل على عادتك يارجل؟
- أنا أمازحك لا اكثر.

- لا عليك لقد أصرّت زوجتي على دعوتكم وزوجاتكم لزيارتنا فما هو رأيك؟
- لنا الشرف يا سيدي...متى؟
- الخميس المقبل إذ نستطيع إطالة السهرة كما نريد.
- وهو كذلك، اسمح لي إذاً فأنا بعجلة من امري.
- مع السلامة سأدعو البقية .
- وهو كذلك إلى اللقاء.
- إلى اللقاء.

حدّث نفسه وهو يتابع طريقه : "سألتقي بها مرة ثانية وسأعرف كل شيء مما يشغل بالي"

سارت تلك السهرة بهدوء تامّ كون الأصدقاء كما تم الاتفاق على تسميتهم كل كان برفقه زوجته لذا كان الحذر سيد المواقف، إلا من بعض النظرات التي كانت تسرق بغفله من الحاضرين تتبادل بين سامي ومها.

تكررت تلك الجلسات حتى أختتم الدور الذي شمل جميع من تشاركوا في ذلك، ولما تقدم ولتلك الحواجز التي تنشأ بالعادة قرر سامي ان تقتصر تلك اللقاءات على زوجته وسعيد وزوجته متحججاً بأن منازل اصدقائه بعيدة عن مركز المدينة وهي ضيقة لا تتسع لهم كلهم مجتمعين.

ولأن سعيد لم يكن ممن يضمرون السوء مرر الموقف على أنه أمر عادي ويستطيع أن يتواصل مع البقية البقية من أصدقائه بشكل إفرادي وإن سمحت الظروف تتمّ

اللقاءات بين العائلات كلها مجتمعة، حيث ينضم الأولاد إلى تلك الجلسات فيتم التعارف فيما بينهم فتستمر الصداقات إلى الأجيال التالية الأمر الذي ترك أثراً إيجابياً لدى الأهل جميعاً.

أما سامي الذي تحقق له ما أراد فكان يعتذر عن تلك اللقاءات بأعذار مختلفة .

وبذل كل جهده على أن تتم تلك اللقاءات في مزرعته الخاصة الكائنة في إحدى الضواحي حيث الجو يكون رومانسياً كما كان يردد كلما سئل عن سببٍ لذلك .

ولما يتركه هكذا مكان من مجالات يستطيع من خلالها المرء أن ينفرد بنفسه لبعض الوقت تحت شجرة ليمون مزهرة، أو خلف أجمة ورد العوسج الذي تستخدم أغصانه في العادة كأسوار لتلك المزارع، وبالتالي سهولة التسلل والالتحام الذي ما إن يتم حتى يتفتق ذهن كلا الطرفين عن فنون ميسرة لذاك الالتحام الذي يخرج منه المرء وكأنه اخترق حاجزاً كان يظنه منيعاً يقف عثرة في وجه من يريد الانتقال إلى الجهة الأخرى التي تضم وحسب مفهوم أولئك من كلا الجنسين ممن استطاعوا الاطلاع العملي على ما كان قد خفى من احاسيس و مشاعر يظنها تكمل نقصاً يعانيه، وكون كل ذلك كان يتم خلسة و بغفلة من الحاضرين تكون كل الملكات متحفزة وفي غاية التأهب لتلبية كل تلك

الرغبات، فيصل كلٌّ إلى مراده وبأقصى سرعة على عكس ما يحسه في حياته العادية .
كل ذلك يترك في العادة آثارا سلبية ما يلبث ان يشعر بها الإنسان فتضطرب حياته الأسرية، ويصبح أكثر توتراً وأصعب مراساً مع شريك حياته، وهذا الأمر ينطبق بالطبع على الفرد كل فردٍ من الجنسين، ولما تتمتع به المرأة من رهافة حس وفيض في المشاعر تكون ردة فعلها نتيجة لذلك أكثر وضوحاً وأسرع، لذا تتوتر علاقتها بشريك حياتها لأنها قد لمست حدّ حلمها بشكل عملي وهذا ما كانت قد بدأت تحسه منذ اللحظة التي تلت الالتحام الاول والتي كانت تتكرس في قراره نفسها اكثر فأكثر كلما تكررت تلك اللقاءات، فهمد الحب المتأجج الذي كانا يعيشانه معاً كيف لا وهي من فضلته على كل زملائه ممن كانوا يقفون لها صفاً كلٌ في مكان محدد تخصص به لتمر من امامه أثناء ذهابها وعودتها من المدرسة، وباتت حياتهما أكثر رتابة وأشد فردية إذ كل منهما صار ينزوي شاغلاً نفسه بأي شيء عن الآخر، وهذا ما يقع به معظم من يمرون بهكذا تجربة في الغالب، ويستثنى من ذلك بعض ممن أخذتهم صعوبات الحياة بعيداً جداً بحيث لا يستطيع أيٌّ منهما التراجع ولوقليلاً إلى أن تحل تلك الصعوبات ولو قليلاً فنجدهما قد بدأا الالتفات خلفاً و يقتربا لينضما لقافلة الأناس الطبيعيين .

أحس سعيد هذا بذاك التغير الواضح في كل تصرفات زوجته وكونه إنسان ممن اختبرتهم الحياة ترك للأيام المجال الواسع لتفسير كل ذلك فلم يظهر أي امتعاض أو أي تذمر بل على العكس فإنه كان كلما ازدادت مها تعنّتاً كان يكثر من تماديه في الهدوء لدرجة صار هدوؤه هذا مبتذلاً بنظرها، الأمر الذي زاد شقة الجفاء الذي صارت تبينه بشكل جلي تجاه سعيد وبالاخص عندما يختليان بأنفسهما، وعندما لم تجد ذلك مجدياً صارت تكرس ذلك أمام زوارهما وبالأخص من المقربين منه، الذين تداعوا بعد أن استفحل الأمر لطرح الموضوع على سعيد بغية إيجاد أي سبيل يصلح ذات البين.

إلا أن سعيداً كان يصدهم بهدوء طالباً عدم التدخل على أن يقوم هو بنفسه باللازم.

وكان رغم كل الهدوء الذي كان يجبر نفسه على إظهاره يحاول معرفة السبب الحقيقي لكل هذا التغير، إلى أن تركت المنزل للعيش في بيت أهلها الأمر الذي أخرجه من حالته تلك ودفعه للوقوف على ذاك السبب القوي الذي أوصلها لذاك القرار

بعد عدة محاولات قام بها لإعادة كل شيء إلى أصله والمياه لمجاريها إلا أن ذلك كله باء بالفشل بل كانت كلما أقدم على ذلك كانت تزداد إصراراً على انهاء تلك الحياة المشتركة.

وذات يوم وهو يجتاز الشارع من جهة إلى أخرى لمح مها تركب سيارة تكسي، أوقف أول سيارة أجرة صادفها وطلب من السائق متابعة تلك التكسي إلى أن ترجلت أمام محل سامي لتدخله وهي بكامل أناقتها وتبرجها .

بقي بعض الوقت ضمن السيارة إلى أن خرجت ليلحق بها سامي ليركبا سيارة أجرة وينطلقا.

لا حقهما إلى أن وصلا تلك المزرعة الشهيرة بعد أن دخلا المزرعة، ترجّل من السيارة وقصد سور المزرعة الجانبي وتسلّقه وبدأ يراقب حركتهما حيث دخلا البيت ... نزل وتسلل بهدوء إلى أن صار تحت نافذة تطل على الحديقة الكبيرة وللأمان الذي كانا يحسّان به بحسب رأيهما فهما أبعد ما يكون عن نظر أي أحد، لذا كانا يتصرفان ببساطة حيث حملها بين ذراعيه بعد حفلة عناق وقبل ودخل بها غرفة جانبية ،

فتح سعيد النافذة بهدوء حيث لم تكن مغلقة تماماً و لف منها داخلاً وسار على رؤوس أصابعه، وهو بحاله هذه وجد عصا معلقة على الحائط من تلك التي كان يحملها الحراس سابقاً نزعها من ذلك المسمار ،ودخل عليهما ليفاجئهما بعريهما الجسدي والأخلاقي حيث بادر كلاً بضربة على رأسه ثم غادر المكان تاركاً كلاً منهما يعارك وعيه الذي بدا يتملص منه هارباً إلى حيث

تكون راحته هناك، حيث الأمان وما إن صار خارج المنزل وبواسطة جهازه النقال أبلغ شرطة النجدة بالأمر ماهي إلا دقائق حتى حضرت الدورية التي كان برفقتها سيارة الإسعاف، كون ما قدمه من معلومات أوجب ذلك أثبتت الحالة جنائياً وقضائياً ، وبعد أن تلقيا علاجهما بسجن المشفى أودعا السجن كعقوبة على فعل صنّف على أنه جريمة تقترب من الكبائر، وبعد أن أمضيا فترة من الحكم ألزما بالزواج إرضاءً للمجتمع الذي ضم في جنباته عائلتهما .

وهنا كانت الصدفة التي لا يتلقاها إلا من أقدم على مثل هذا الفعل ، حيث يزول ذلك الحافز وتلك الفورة في المشاعر والأحاسيس ويسود الروتين والرتابة الحياة فتماثل حياة معظم الناس .

(8- الشيخ)

تداعينا أنا وبعض رجال العائلة للقيام بزيارة واجب لأحد كبار السن من أقاربنا ، وذلك لعيادته أثناء فترة نقاهة كان يمضيها في منزله بعد إجراء عمل جراحي بسيط لاستئصال خرّاج كان يسبب له الالم المبرح في الفترة الأخيرة .

في طريقنا الذي قررنا سلوكه من مكان تجمعنا أمام حانوت يملكه أحد أقاربنا كان كل منا يخالجه شعور أو بالأحرى إحساس بأنه سيتعرض لشيء من سياط لسانه اللاذع، سلاح ذاك العمّ السريع الغضب وفي الوقت ذاته تلك الميزة التي كانت تميزه عن بقية اقرانه من الأقارب وغيرهم .

ولأن كلّاً منا قد حضر مسبقاً سؤالاً او استفساراً يثير حفيظة ذاك الكهل، دخلنا المنزل تحت وابل من الترحيب من زوجة عمنا اللطيفة والتي كانت على عكس ما كان عليه زوجها، إذ تميزت بالهدوء والسكينة وسعة الأفق والقدرة على الاستيعاب لذلك استمرت حياتها معه حتى هذه اللحظة .

جلسنا بعد أن أصاب كل منا نصيبه من فرقعات لسان اعتاد على جلد كل من يواجهه متحصناً بتلك الذريعة والتي تُمنح لأمثاله من كبار السن من قبل المجتمع .

سألته عن حاله مع غمزة بسيطة فرد:

- اخرس انت بالذات .

- لماذا ؟
- لأنك حصان إبليس "وهذه عبارة تقال لمن يثير المشاكل".
- لم تنعتني بذلك سألتك عن حالك فقط ؟
- انت لم تسأل عن صحتي بل عن شيء أخر ولن أجيبك على ذلك لتموت بغيظك .
- سامحك الله ياعم .

هز رأسه وتابع موجهاً كلامه لأبن عم لي كان يجلس بجواري.

- كيف تسير أمور حياتك هذه الأيام؟
- الحياة باتت ضيقة على الجميع نتيجة لهذه الظروف التي تمرّ بها البلاد، أكثر المعيقات تلك الطرق التي باتت غير آمنة.
- بسيطة أزمة وستمر بالرغم من كل ما حدث، لأننا وعبر الزمن قد تعرضنا لظروف أشد قساوة وبالرغم من أن كل الظروف قد تغيرت مادياً ومعنوياً.

وبعد أن مر علينا جميعاً بأسئلة اعتاد طرحها في مثل هذه الجلسة غيّر مجرى الحديث موجهاً كلامه لزوجته.

- هاتي ما عندك وقدميه لهؤلاء.

قالها وهو يشير علينا بيده بازدراء، ضحكنا كلنا بينما غادرت أم نزار وهي تردد عبارات اعتادت قولها تلطيفاً لحدة وقع كلام زوجها.

شربنا الشاي الذي قدمته لنا زوجة عمنا مع بعض قطع من المعجنات اللذيذة التي اشتهرت بصناعتها يدوياً.
وبعد عدة عبارات مجاملة تمكنت من امتلاك ناصية الحديث ووجهت له كلامي قائلاً.

- هات افرغ ما في جعبتك من حكايا .
- لم تتغير أبداً مكرراً ذات العبارة ||حصان إبليس||

ساندني قي ذلك معظم الشباب لذلك قال :

- سألبي رغبتكم ولكن انصحكم بأن لا ترافقوه ثانية .

قالها وهو يشير علي بيده .

سأله احد أبناء عمي: لم ؟

- لأنه كما وصفته سابقاً ||حصان إبليس||

صحح من جلسته قليلاً بينما كان كل الحاضرين ينهون وصلة ضحك.
تنحنح كإشارة الاستعداد التام لسماع ما سيدلي به.

- حطت رحالنا في مضارب قبيلة كبيرة ذات شأن بين القبائل لكثرة أفرادها ولذاك الصيت الرائع لشيخها الموقر لما تمتع به من رجاحة عقل وكرم اخلاق ورجوله عند الملمّات وكنت.

أترأس مجموعة مكونة من ست رجال امتهنّا جميعنا جزّ الصوف فيما مضى من الزمن، وكانت رحلتنا تدوم لعدة أشهر نجول خلالها على القبائل، وكنا نبيت في مضارب القبيلة التي تقرر تكليفنا بتلك المهمة حيث

تخصص لنا خيمة واسعة مجهزة بكل مستلزمات إقامتنا.
استقبلنا ذاك الشيخ الوقور وكان الوقت عصراً، وبعد أن أقام لنا الطقوس المعتادة أمر خدمه بان يرافقونا إلى مكان إقامتنا للاغتسال وتبديل الثياب ومن بعدها العودة إلى مضافة الشيخ الجليل.
أجلسنا الشيخ بجانبه رافعاً من مقامنا كعادة الكرماء من الرجال، وما هي إلا لحظات حتى أحضر الطعام وكان مكوناً من عدة مناسف وملحقاتها وضعت في أماكن اعتاد الخدم توزيعها بما يتلائم وعدد الموجودين وأماكن جلوسهم ، أثناء ذلك أشار لأحدهم بيده بدون كلام غادر الخادم وعاد بعد برهة قصيره وهو يقود كلباً ضخماً يلهث مدليا لسانه واللعاب يسيل من حوافه .
مرّر العبد الكلب من أمام المناسف بشكل سلس وغادر، علت وجوهنا الدهشة استغراباً من هذا التصرف البعيد كل البعد عن اللباقة وأصول الضيافة التي اعتادت عليها القبائل كلها، فما بالك بذلك الشيخ ذائع الصيت.
سمّى الشيخ باسم الله وتقدّم راجياً الجميع المباشرة بالطعام، أكلنا لأننا لم نذق طعم الزاد منذ الصباح الباكر وكان قوتنا بضع حبات تمر وقليل من الماء.
رفعت المناسف ومن بعدها صبت القهوة المرة وعند وصول الفنجان إلى يدي لم أشربه بل وضعته على الأرض امامي نظر إلي الشيخ بتمعن ثم قال :

- اشرب قهوتك ولك ما تريد من مطالب

عندها شربت الفنجان وأعدته إلى الخادم عندها سألني

- هات من عندك يا ضيفنا وما هي حاجتك .
- ليست حاجة إنما استفسار .
- اتستفسر عن الذي حدث قبل البدء بالطعام.
- نعم
- لك ما تريد، سأروي لكم قصة ذلك. سوّى من جلسته وبعد أن صلّى على النبي كالعادة قال:

منذ فترة ليست بقصيرة تزوجت من إمرأة جميلة شابه تضج بالنشاط مرحة كانت ابتسامتها تعلو ثغرها على الدوام، الأمر الذي أدخل السعادة والراحة لقلبي فصرت ألبّي كل طلباتها ورغباتها ما إن ترمش بعينها. عشنا بذاك الهناء لسنوات عدة.

ولكن مالبثت أن بدلت من طباعها، فصارت دائمة العبوس، فارقت البسمة ثغرها وباتت سريعة الغضب ولأتفه الأسباب أثر ذلك سلباً على حياتنا وحياة دائرتي الصغرى القريبة من بيتي فانقلبت حياتنا رأساً على عقب .

تجاهلتها على أمل أن تصطلح الأمور ، إلا أن ذلك لم يجد نفعاً، واجهتها مستفسراً لكن دون جواب ، عندها قررت مراقبتها لمعرفة ماخفي عني وعندما أحست بذلك ازدادت شراسة مظهرةً حقدها وكرهها لي بشكل صريح وواضح.

استدعيت حكيم العشيرة وصارحته بالأمر حيث أشار بأن آخذها في زيارة إلى مضارب اهلها، أرضتني الفكرة وعندما صارحتها بأمر الزيارة فكان رد فعلها على عكس ما كنت اتوقعه، حيث سرّت كثيراً وباتت تلحّ على تنفيذ تلك الزيارة وباتت أكثر إشراقا ونشاطاً كمن اعيدت له حياة كان يظن نفسه قد خسرها، استغربت من ذلك إلا أنني قررت أن أدع كل الامور تسير بشكل طبيعي لتبدو الامور كلها طبيعية بنظرها ونظر العشيرة، ولأن مضارب اهلها تبعد كثيراً عن مكان إقامتنا توجب علينا أن نعد جيداً لهذه الرحلة وبالفعل ماهي إلا أيام صارت كل الأمور جاهزة، لذا قررت الانطلاق باكراً لنستطيع أجتياز أكبر بعد من المسافة قبل المغيب لنصل مضارب أهلها في اليوم الثاني نهاراً لكن كان اكثر ما أثار حفيظتي أصرارها الشديد على أصطحاب عبدها الخاص معها في هذه الرحلة .

انطلقنا باكراً وبقينا نواظب على المسير حتى انقضى معظم النهار وباتت الشمس قاب قوسين أو أدني وتغطس في ذاك المجهول عندها توقفنا وطلبت من الخدم البحث عن مكان نبيت فيه وبالفعل وجدنا مغارة واسعة قام الخدم بتنظيفها بينما تفرغت هي وعبدها لإعداد طعام العشاء .

بعد تناول الطعام شعرت بشيء من النعاس، الأمر الذي أدخل الريبة إلى قلبي لأني لم اعتد النوم بعد الطعام مباشرة مهما كانت حالة التعب الذي أحس به لذا جهدت على أن أحفز أعصابي وألا أستسلم للنوم، وقررت أن أستجلي الأمر فمثلت النوم بدات أصدر صوت الشخير الذي اعتادت سماعه عند نومي، وكان مسدسي ملقماً تحت وسادتي وصرت أراقب كل شيء من تحت الغطاء انسحبت من جانبي وغادرت باتجاه مدخل المغارة، حيث كان الخدم يقومون بالحراسة وعادت بعد قليل برفقة ذاك العبد وكان يحمل عصا بيده وهم يضربي وإذا بالكلب ينقض عليه ممسكاً بيده التي تحمل العصا، عندها استلبت مسدسي وأطلقت النار عليه مردياً أياه قتيلاً.

أبعدت الكلب وخرجت لأتفقد بقية الخدم لأجدهم يغطون في نوم عميق نتيجة المخدر الذي كانا قد دساه في طعامهم

وعندما عدت ما إن اقتربت منها حتى خرت راكعة متوسلة بأن أبقي على حياتها.

بعد أن استجوبتها عرفت بسر العلاقة مع ذاك العبد وتوضحت الأمور وبان سبب تغيرها وانقلاب طباعها.

بعد وصولنا لمضارب أهلها شرحت لأبيها كل ما حدث سلمته إياها وغادرت.

ومنذ ذاك الوقت أعتبر هذا الكلب أعز المخلوقات عندي وحتى أفضله على نفسي أنا شخصياً لذا أقدمه علي حين أتناول الطعام.

هذه قصتي التي أرجو أن تكون قد قدمت شيئاً من التبرير على كل ما تساءلت عنه، لكن أريد أن أقدم النصح لكل لأمرئ أن يتوخى الحذر من كل شخص يُدخله منزله تحت أية حجة، وأن يبقي على مسافة أمان بينه وبين ذاك الرجل لأن لكل بيت أسراراً، ولا يؤتمن على السر إلا كل ذي خلق، والذي لا يؤتمن على السر لا يؤتمن على الحياة .

(شايلوك)

تزوج حميد بعد قصة حب من طرف واحد من ابنة عم له في الدم وبعد عراك طويل مع الأهل من كلا الجانبين إلا ان العادات والتقاليد فرضت نفسها كقاضٍ أعور يرى بعين واحدة حيث طغت عاهته تلك على مشاعر واحاسيس الفتاة التي جاهدت كي لا تقع فريسه لتلك العلة الازلية التي تتحكم بمصائر المجتمعات كافة ، إلا من حالفهم الحظ ورزقوا بمن عمل عكس التيار مقاوماً هذه المعوقات رغم كل المصاعب.

زفت العروس وهلل الوالدان لفوز ولدهم على كل من نافسه على جزء ولو صغير من مشاعر ابنة عمه

اقيم للعروسين سبعة ليالي فرح كيف لا يحظى بذلك وهو الابن الأصغر والمدلل لأب عرف عنه سرعة الغضب الذي يتجلى برشه للكلام رشاً إذ يصعب على من يتعامل معه للوهلة الأولى أن يفهم ولو جملة واحدة مما جاد بها ، ومن صفاته أيضاً والتي لا زمته حتى عجز عن الحركة تماماً تلك الدابة البيضاء التي رافقته لأكثر من عقدين من الزمن صارت خلالها تلبي كل رغباته لمجرد أن يحرك باطن فخديه على متنها

كما أن ذلك قد أقر عين والدته التي عرف عنها رجاحة العقل والهدوء الظاهر في كل حركاتها تلك الصفات التي كان لها الفضل الأكبر في تحمل مكونات زوجها الذي نسب لاسمه الأصغر كل نسله فصار لزاماً على كل أبنائه وأحفاده تعريف أنفسهم من خلاله.

أصبح العروسان وقدمت لهما كل ما يحتاجونه إرضاءً لأخوات كن قد جهدن في تربية شقيقهما الأصغر.

استغلت العروس ذلك أحسن استغلال وصارت بحنكتها التي ورثتها عن بيئتها المحرك الفعال لكل متعلقات العائلة فصارت تتحكم بكل شاردة وواردة من أدق تفاصيل حياة الأسرة كلها حتى حياة شقيقيّ زوجها اللذين كانا قد أسسا حياة خاصة كل منهما حسب وضعه وامكاناته فتحمّل الاخ الأكبر وزر العائلة بينما فضّل الابن الأوسط الاستقلال عن الأسرة وإشكالياتها حتى آخر يوم في حياته.

مارست الوافدة الجديدة بدهاء موروثها الجيني فصارت تحيك المؤامرات والدسائس موقعة بين الأخوة والأهل ليتثنى لها ترتيب أمر الميراث الذي سيتركه العجوزان، وخصوصاً بعد أن داهمهما المرض، إذ سبقت العجوز زوجها الذي ما لبث أن لحق بها بعد أن نفّذ رغبه بناته اللاتي قمن بإلزامه منح الصغير المدلل جل تركته وحرمان أخويه منها.

رزق الزوجان بصبي أقرّ أعينهما وأسمياه على اسم أمير عاش في تلك المدينة، على ما كان قد حصل عليه أجداده من ملكيات مُنحت لهم كعطايا من قبل سلطة كان لها الدور الاكبر في تكريس الجهل والتخلف وسيادة العادات والتقاليد البالية التي لم نزل حتى يومنا هذا نعاني من تبعاتها وآثارها.

بدّد حميد جل تلك الثروة على ملذات زائلة، إذ قام والده قبل وفاته بتأسيس متجر يبيع فيه الملابس والأقمشة النسائية وكون معظم زبائن المحل من الجنس اللطيف، ولقلة خبرته في أمور الحياة، وبالأخص ألاعيب تلك الفاتنات الدور الأكبر في إفلاس المتجر لاكثر من مرة وفي كل مرة كان الأب يقوم بدعمه مادياً رضوخاً لرغبات تلك الشقيقات الجاهلات.

رزق الزوجان بالابنة الأولى وتبعتها الثانية والثالثة و الرابعة ، كل ذلك تم في محاولات فاشلة لإنجاب ذكرٍ يكون سنداً لأخيه في هذه الحياة، وفي المحاولة الخامسة استجاب القدر وتحقق المراد وشرّف الكون ذاك المولود الذي ظن والده بأنه سيكون فاتح الكون وملهم الحياة ومدبّرها، لذا أسمياه عليوه تيمناً بذاك الفذّ الذي على أكتافه قامت ودامت الأمه حتى يومنا هذا.

توالت الأيام والسّنون وصارت تقام أعياد الميلاد كل رأس سنه لذاك الولد الفريد ، وكون الدلال والتراخي قد يتركان أثراً عكسياً فيعيش ذاك المميز على هواه فيفسد

ممشاه وتعوج سبل حياته ويصبح فريسه لأقران السوء الذين وقع في شباكهم فشذّ عن أقرانه من أبناء جيله وصار منبوذاً، لذا تكونت عنده عقدة الوحدة فصار يتصرف كمتمرد في كل تفاصيل ودقائق حياته، وكل ذلك تم على مرأى ومسمع كل من والديه وكأن شيئاً لم يكن وكانا عندما يفاتحهما احدٌ بالأمر يكون الرد جاهزاً: "ولد وسيكبر"

دخل المدرسة وفشل في الحصول على الشهادة الإعدادية من المرة الاولى حيث حصل عليها في العام التالي وانتسب إلى المدرسة الفنية وفشل أيضاً في الحصول على الشهادة الثانوية لأكثر من مرة.

تم سوقه لخدمة العلم الأمر الذي أدخل السرور لنفس والده كون الانضباط والقسوة ستعيده إلى جادة الصواب، وكان ذلك إذا مضى معظم خدمته الإلزامية دون أيه عقبات او إشكاليات كسب بذلك ودّ ورضا رؤسائه المباشرين.

وصار مقربا منهم لدرجة أنهم صاروا يمدونه بالمال من مدخراتهم تمويلاً له في تجارة كان يقوم بها أثناء مغادرته، حيث كان يقوم بتوزيع البضائع في الأسواق وكان يعود عليهم بربح معقول، الأمر الذي دفع مَن قادهُ طمعهُ منهم أن يبيع حلي زوجته للمشاركة به في تلك التجارة. وما إن صار في حوزته مبلغا محترما من المال حتى غادر قطعته ولم يعد. قام أولئك بالتغطية

عليه لفترة إلا ان الخطر قد أحدق بهم لذا قاموا برفع بطاقة بحث بحقه رفعاً للمسؤولية.
إلا أنَّ عليوه هذا كان قد أمن نفسه كون فترة خدمته قد انتهت وصدر قرار التسريح لذا سقطت محاولة ملاحقته قانونياً عندها قام رؤسائه والذين هم شركاؤه بالتحفظ على أوراق الثبوتية فصار لزاماً عليه العودة لاستلام بطاقة الهوية وماشابه ، إلا أنه ظل متوارياً.
بقى على هذه الحال لأكثر من شهرين مما اضطرهم للتواصل مع شقيقه الأكبر ذاك الرجل العصامي الذي بدأ حياته العملية كموظف في إحدى الجمعيات الاستهلاكية، وبعد سوقه لخدمة العلم ولحسن خلقه وسلوكه أقنعه رؤسائه بالاستمرار في ذاك السلك الهام والحساس.
صدم الأخ الأكبر وضاقت به الدنيا مما اضطره للاستدانه من زملائه وإنهاء المشكلة. تلك كانت أول حفرة أوقعه بها شقيقه وتتالت المطبات إلى أن قررت الأسرة بالضغط على الشقيق الأكبر كي يوافق على تزويجه عسى أن تلزمه الحياة الزوجية بالانضباط وتقوي لديه حسّ المسؤولية .
التزم لفترة من الزمن وصار من المحببين لدى معظم أفراد العائلة وغيرهم ممن اضطر للاحتكاك بهم من جوار وكان قد ورث عن والده نصف منزلاً ومحلّاً تجارياً وصار هو الآمر الناهي بكل تفاصيل حياته،

الأمر الذي حرك لديه تلك الرغبة في التمرد وحب الظهور والصعود السريع الذي يقع به أمثاله ممن لا خبرة لديهم في خفايا وأسرار الحياة ومتعلقاتها وبالأخص العلاقات المالية وحسن إدارة الاعمال فوقع في المطب الأول وكانت تجربة قاسية جداً اضطرته ليبيع نصيبه في ذاك المنزل لقريب له وللخلق الذي كان يتمتع به ذاك القريب تركه يعيش في ذاك المنزل حرصاً منه عليه وعلى عائلته الصغيرة ولكونه قد رزق بمولود ذكر اسماه على اسم شقيقه الاكبر آملاً ان يحمل ولو شيئاً بسيطاً من مواصفاة عمه التي لطالما حلم بأن يحظى ولو بالقليل منها لينال قبول ورضا المحيط.

عمل دهاناً في الاوقات التي كانت وتيرة تجارته تشح وكان من ذاك المردود يراكم البضائع في المحل وما إن تطلع حوله حتى رأى بانه يستطيع التحرك في اكثر من مجال حتى تحركت عنده تلك الملكة اللعينة التي ما إن تظهر حتى تستولي على كل حاله لذا صار يتحكم بأسعار المواد وبالاخص تلك التي تشح من الأسواق ولسوء الحظ فإنه كلما زاد توغلاً في ذاك السرداب زاد عدد زبائنه وبالتالي زاد دخله وكتحصيل حاصل انزلاقه في منزلق الطمع والجشع وكانت الاوضاع العامة تساعده في ذلك المجال وصار يحتكر بعض السلع ومن ثم يظهرها في الوقت المناسب ولسبب مجهول كان كل ما يجمعه من مبالغ يتبخر مثل كحول على صفيح

ساخن. وبالتالي إفلاسه لأكثر من مرة وكلما حدث ذلك يختلق حجة أو إشكالية مع أحد أفراد أسرته فيغادر المدينة، وفي إحدى المرات غادر خارج القطر ومن إحدى مغامراته الميمونة: قصد الأردن حيث راسل قريباً له يقيم هناك، وللعلاقة التي تربطهما وفر له قريبه ذاك فرصة عمل في إحدى الورشات. تسلّم العمل ونفّذ كل ما طلب منه وما أوكل إليه من مهام بكل دقة وبشكل ملفت للنظر حيث زاد راتبه عدة مرات خلال فترة بسيطة.

ما لبث رب عمله أن كلفه بمهمة مندوب مبيعات حيث يقوم بترويج المنتج في الأسواق والأحياء الشعبية وكان يخصص نسبة من الربح لمن يقوم بهذه المهمة.

تحسنت احواله وصار يوفر جزءاً من ذاك الدخل يدخره بغية جلبه معه حين يعود لكن تلك السوسه المهلكة التي بدأت تنخر في أعماقه نفسه دافعه إياه للمغامرة في صفقات كان قد أعد لها جيداً دون علم رب عمله حيث قرر أن يقوم باستغلال المنتجات التي كان يخزنها بغية تسويقها اثناء جولاته فصار يودعها متاجر اتفق مع أصحابها على بيع المنتج بالقطعة ومحاسبة رب العمل بسعر الجملة بالإضافة لما كان يجمعه من عينات مجانية كانت الورشة تمنحها لترغيب الزبائن كل ذلك كان يتم ورب العمل غافل عما يجري إلى أن وقعت الواقعة عندما قام أحد أصحاب تلك المحلات بالسطو

على كل البضاعة وكانت تقدر بآلاف الدنانير ومغادرة البلد لجهة مجهولة الأمر الذي أضطره لدفع ذاك المبلغ من رصيده الذي شقي في جمعه طيلة الفترة السابقة، و لخسارته عملاً كان يوفر مبلغاً من المال لابأس به من جراء ذلك طرد من العمل وكذلك من البلد فعاد خالي الوفاض كما يقال «ربي كما خلقتني».

وكما عود كل من حوله على نسج القصص والحكايا عن مغامراته والمؤامرات التي تعرض لها وكان لبراعته في ذلك يستدر عطف أهله وبالأخص شقيقه الاكبر الذي كان يسارع لدعمه مالياً من مدخراته والنتيجة تبقى واحدة على الدوام.

ذات يوم وبينما كان يحتسي شرابه المفضل في متجره دخل عليه أحد أصدقاء طفولته عارضاً عليه فكرة مشروع ولعقله النير وغريزة حب الظهور والصعود وافق فوراً .وقرر المشاركة وكان الهدف الأكبر الذي دفعه لذلك كما تبين لاحقاً فكرة راودته وقرر تنفيذها حيث كان الشريك امرأة عانسا احيلت إلى التقاعد مؤخراً وكانت قد تسلمت مبلغاً لا بأس به كتعويض نهاية الخدمة قررت استثماره بتجارة تعشقها ألا وهي تجارة الشنطة أي السفر والتجارة بمواد تنقل عبر الحدود من الاشياء المسموح بها رافقها في عدة جولات ولخلواته معها أثناء ذلك توطدت العلاقة بينهما لتصبح أكثر حميمية لذا قرر الزواج بها مقدماً المبررات

المقنعة والتي ترضي غرورها وبالتالي رضا أهلها إلا أن هناك عقبة برزت ألا وهي عدم مقدرته على الوصول إلى تركته لذا قررا تأجيل ذلك لفترة ريثما تُحلّ تلك المشكلة .

وكانت الاندفاعية من قبل تلك التي فاتها قطار العمر ولم يبق لها إلا هذه الفرصة لذا قدمت له كل ما يريد على طبق من فضة، فرح كثيراً للأمر وأعلن خطبته عليها وسافر وحيداً لإ تمام صفقته على أمل أن يضاعف رأس ماله إلا أن من لا دراية له بألاعيب التجار وخصوصاً الذين يعملون في هذا المجال إذ تكون أساليبهم أكثر شيطانية من غيرهم كونهم يعملون في الظل فخدع ببضاعة لا تساوي ربع ثمنها الذي دفعه وكان المطب القاسي الذي أعاده ألى نقطة الصفر فقرر عدم العودة والبقاء حيث هو كعامل في احد المتاجر وكان دخله بالكاد يكفي مصاريفه الشخصية دون الالتفات لعائلته وبالأخص ولده الصغير ولم يعد إلى البلد إلا بطلب حازم رضخ له من شقيقه الاكبر وكانت التقدمة بأن منحه وكالة عامة تخوله التصرف بكل إرث أخيه وكانت هذه الخطيئة الكبرى التي ارتكبها ذاك الاخ الطيب .

صار يبيع قطعة من ملكية اخيه كلما تعثرت تجارته أو أفلس مؤكداً للمرة الألف بأنه غير جدير بأن يولّى أيّ أمر وبالأخص التجارة .

باع آخر قطعة ارض لصديق ربطته به علاقة قديمة، وليكتشف ذاك الشاب بأن تلك الأرض قد تمّ بيعها عدة مرات ولعدة أشخاص، وقرر تقديم شكوى قضائية بحقه يتهمه فيها بالاحتيال، إلا أن عليوه هذا قد التف عليه ومنحه قطعة أرض غيرها من ملكية أخيه التي لم تنقل ملكيتها لملاكها الجدد تكررت العملية مع أكثر من شخص .

حدثت بعض الاشكالات في البلد مما أدى لشح بعض المواد في الأسواق نتيجة لحصار جائر فرض على البلد من قبل قوى خارجية لذا ارتفعت أسعار السلع وبالاخص تلك التي تستهلك يومياً.

استغل ذلك وصار يسافر مع قريب له يملك سيارة خاصة إلى البلدات المجاورة لجلب تلك المواد بغية احتكارها وبالتالي بيعها بأسعار يحددها هو لاحقاً على هواه الامر الذي لفت إليه أنظار بعض من منتهزي الفرص والطامعين بالربح الذين سارعوا لعرض كل مدخراتهم بين يديه ليقاسموه ربحاً ظنوه كبيراً.

أجج ذلك عنده تلك الملكة المهلكة فوظفها جيداً وبدا بجمع الاموال وكان في البداية يوزع الأرباح على شركائه شهرياً

دام ذلك لعدة أشهر ثم ما لبث أن أعلن إفلاسه وصار يبحث عن من يقدم له المساعدة ولو بمبلغ بسيط .

وعندما لم يحقق مأربه وسع دائرة بحثه ليصطاد أناساً لم يكونوا قد سمعوا بقصصه وصار يسوق الحجج والمبررات التي تثير الشفقة عند أولئك ومن تلك التبريرات بأنه يريد أن يجري عملاً جراحياً لأخيه وكانت المساعدات تنهال عليه

بعد عدة أيام تمارض ومثّل الاحتضار ليوهم كل من حوله وبالأخص الدائرة الصغرى من الأقارب .

وفجأة اختفى تماماً وضاعت كل آثاره تاركاً كل من تعامل معه من قريب وبعيد عرضه لأقاويل وأحاديث وإشاعات وحكايا تصلح لأن تجسّد في عمل فنّي.

لذا فإن من وقع ضحية الأعيبة يهيب بكل من يلتقي به أو يصادفه في أي مكان وزمان أن يتوخى أقصى درجات الحيطة والحذر ويبلغ عنه ليوضح امراً لم يزل حتى هذه اللحظة خافياً على كل الناس

" أين كانت تهدر كل تلك الأموال ".

(شايلوك 2)

- قالها رجل فذ لا نظير له: "سلّح ابنك بالسلاح الذي سيواجهك به"

هذه حال رجل أنجب من الأولاد أربعة اثنان من الذكور واثنتان من الإناث.

وكما هي العادة أن يكون للابن الأكبر الذكر الأفضلية في كلّ المجالات وبالأخص عندما يكون قد رزق به بعد قدوم اثنتين من البنات اللتين صارتا أماً له حيث تكلفتا بكل شيء يختصّ به وتلبيه كلّ طلباته، ترعرع على هذا فصار يميل إلى الإتكالية كيف لا وطلباته مستجابة لمجرد ان يرمش بعينه فما بالك إذا نطق.

مرت السنون وصار يافعاً وحاز على الشهادة الثانوية بينما كان شقيقه الأصغر أكثر اتزاناً وعقلانيه في كل تفاصيل حياته بالرغم مما كان يحس به وما يختلج في نفسه من مشاعر نتيجة لذاك التميز الواضح والفاضح وعلى الرغم من كل ذلك طبَّع نفسه وتأقلم مع كل هذا مستعيضاً عن ذلك بإكمال دراسته إلى أن حاز على اجازة جامعية من كلية الآدب .

بينما عليوه هذا فقد كرس كلّ مواهبه في فن الاقناع حيث وبأسلوب سلس مع شيء من الإلحاح أخبر والده على إيفاده ليكمل تعليمه في الخارج وسافر تلك السفرة الشهيرة التي بدأت بها كل المغامرات التي امضى كل فضول عمره اللاحقة متأثراً بها لأنه لم يوفق بالوصول لمأربه لظروف لطالما قدمها كتبريرات لتلك الكبوة.

عاد ليلتحق بكلية الحقوق وبعد معاناة من كل الأصناف حاز على تلك الشهادة التي كانت المعبر الذي نقله إلى عالم آخر بعيد عما كان يعيشه

إذ بدأ يمارس مهنة المحاماة بعد اجتيازه مرحلة التدريب في مكتب استاذ كبير وقدير علّمه أثنائها كلّ أسرار وخفايا المهنة.

في تلك الفترة كانت شقيقته الكبرى قد تزوجت من ابن عم لها ثم وبعد فترة قصيرة لحقت بها اختها الثانية وبالتالي صار البيت فارغاً من مدبرتيه ومنفذتي أوامره ولم يبق في المنزل سوى امه التي داهمها المرض منذ زمن ما لبث أن لاقت وجه ربها تاركة ذلك المتبرم ووالده وشقيقه الأصغر ليتدبروا أمرهم التحق شقيقه الأصغر في سلك التدريس حيث تمّ تكليفه بمهمة التعليم في منطقة نائية شمالاً. من بعدها التحق بخدمة العلم بعد فترة تاركاً كل متعلقات حياته خلفه وانخراطه في جو الخدمة الإلزامية التي كان يتوجس منها إلا انه قد تأقلم مع الوضع الجديد وسارت أيامه بهدوء كبقية زملائه.

في تلك الفترة ولأن أحد الذكور قد التحق بالخدمة العسكرية فيتم تأجيل استدعاء الأخرين حتى ينهي الولد الأول خدمته الإلزامية استغل الأمر والزم والده بتامين مبلغٍ من المال كانت الدولة قد حددته كبدل عن الخدمة فاعفي رسمياً ونال مراده كالعادة.

في تلك الفترة تأزمت الأحوال عسكرياً على الحدود حيث حدثت مناوشات على الجبهة مع ذاك العدو الغاضب كادت ان توصل الوضع لمرحلة الاشتباك العسكري وصارت المعركة قاب قوسين أو أدنى لذلك استنفرت كل الجهات العامة والخاصة تحسباً من وقوع المحظور الذي لا بدّ منه وشمل ذلك تلك المدرسة التي كان شقيقه يتلقى علومه العسكرية فيها.

وبضربة غادرة خاطفة قام بها سلاح جو العدو على المنطقة المتأخمة للحدود شمل ذاك العدوان تلك المدرسة حيث تم تدمير معظم منشآتها وإصابة معظم من كان فيها ولكثافة ما كان العدو قد ألقاه من قذائف تطايرت اشلاء الجنود عالياً واختلطت تلك الأشلاء ببعضها وبكل مكونات تلك المدرسة حيث فقد أثر العديد منهم تماماً و بعضهم لم يزل في عداد المفقودين حتى هذه اللحظة ومن ضمنهم ذاك الشاب اللطيف .وقع ذلك على عائلته وقع الصاعقة حيث انقلبت حياتهم رأساً على عقب وبات الحزن والكآبة يخيمان على المنزل ومن فيه وبالتأكيد أصاب ذلك كل أصحابه وأصدقائه

الذين ما زالوا يتذكرونه حتى هذه اللحظة والأسى يعتصر قلوبهم وتكاد الدمعة أن تفر من عيونهم.
ولكسر هذه الحالة ولإدخال شيءٍ من الفرح والتغيير على الجو العام للمنزل وبالتالي العائلة تقرر تزويج عليوه عسى القادمة الجديدة تؤثّر إيجابياً على هذا الجو.
تم الامر وارتبط عليوه بصبية جامعية من عائلة عريقة وسارت الامور ورزق بابنتين وصبيين سمّى أكبرهما باسم والده تقرباً منه وتوداً لأخواته .

في سلك المحاماة كرس كل طاقاته ودهائه في تحقيق رغباته في النجاح و الصعود وبالتالي الكسب ليصبح بذلك من أبرز المحامين على مستوى المحافظة ، وصار الموكلون من أصحاب الحاجات يتوددون له على ان يتفضل بقبول وكالاتهم لأنه سيد من أحق الحق حسب قولهم .
لم يرضه ذلك لأن طموحه كان أكبر وأعظم وليحقق ما أراد بات يلزمه مجالٌ آخر يتغطى به ويوسع نشاطه ولا مجال أوسع وأرحب لتحقيق ذلك من المجال السياسي.,
لذا بدأ يفكر بتأسيس حزب، إلا أن أحد الأصدقاء قام بتعريفه بشخص يشغل منصب أمينٍ عام لحزب معروف، ولصيته الذائع واسمه اللامع رحب ذاك المسؤول به وضمه إلى حزبه مباشرة وما لبث أن يترقى بالمراتب الحزبية إلى أن صار يشغل منصباً

رفيعاً في ذاك الحزب وصار يتوسع بعلاقاته العامة والخاصة مستغلاً ذلك أحسن استغلال مسخراً كل ذلك في مجاله العملي وصارت كل القضايا محسومه لصالحه ما إن ينبري للترافع بها وما رافق ذلك من مكاسب مالية ومعنوية حيث ارتفع اسمه عاليا وصار متداولاً كأحد أهم المرشحين لمنصب وزاري مهم ، إلا أن الحظ لم يواكبه لأسباب خارجة عن إرادته وإرادة المسؤولين في حزبه ، ترك الأمر أثراً سلبياً في أعماق نفسه وانعكس ذلك على أغلب المحيطين به وفي مقدمتهم أسرته الصغيرة حيث احتدم الخلاف بينه وبين زوجته لدرجة صار الانفصال شبه قائم وبقي الأمر على هذا الحال بضع سنين إلى ان تزوج كل أبنائه وخلال تلك الفترة توعكت زوجته وغلب عليها المرض وفارقت الدنيا بسرعة تاركة فراغاً لا تملؤه سوى امرأة أخرى، وبعد مضي بعض الوقت ونتيجة لتدخل بعض المقربين الذين بذلوا جهداً بإقناعه بفكرة الزواج ثانية. ارتبط ثانية وما زال يمارس حياته كما بدأها دون تغير يذكر .

ذات يوم وانا أجالس احد الرجال في مكان عام سألني:

هل تعرف المحامي فلان

- نعم هل من مشكلة ؟
- اتعرفه جيداً ؟
- نعم ،لم تطرح هذا السؤال ؟

- لأنني أريد أن أحدثك بأمر أرجو أن تسمعه حتى آخره وأن تحكم بنفسك في الآخر على كل شيء.
- تفضل قل ما عندك.
- " يا سيدي التقيت به في مجالس العائلة هناك في قريتنا وكان يلبي دعوة على العشاء كان قد وجهها له أحد أقاربي ودار حديثٌ بسيطٌ بيننا وفي نهاية السهرة ولأن القرية بعيدة بعض الشيء عن البلدة ألزمه مضيفه بقضاء ليلته عنده.

وعندما هممت بالمغادرة مع بقية الرجال أمسك بيدي وقال أبق قليلاً أريد أن أطرح عليك أمراً هاماً وما إن غادر صاحب المضافة لبعض الوقت حتى بادرني بالسؤال:

- هل لديك خبرة في تقييم القطع الأثرية
- قليلاً لم تسأل
- لقد عُرض علي بعض منها وأريد معرفة قيمتها المادية
- أرنيها إن كنت تحمل بعضها معك.

مد يده إلى جيبه وأخرج قطعة نقود ذهبية قديمة وناولني إياها تفحصتها جيداً وبالخبرة التي أمتلكها تبين لي أنها ثمينه قلت له :

- إنها قطعة تعتبر نادرة وغالية الثمن هل هناك الكثير منها؟

- نعم والذي يضع يده عليها لا يعرف قيمتها الحقيقية .
- ماهي طلباته؟
- يريد مبلغاً من المال لقاء كل قطعة
- فعلاً فهو يجهل قيمتها الحقيقة لأنه يطلب مثل هذا المقابل البخس؟
- هذا ما أردت إيصاله لك فكر بطريقة نحصل من خلالها على تلك القطع ونتقاسم الربح فيما بيننا .
- فكرة جيدة قلتها له وأنا أغادر معتذراً.

لم خصصني بذلك ومن أين له معرفة انني من ذوي الخبرة في هذا المجال أيكون على علاقة مع ونيس تاجر الاثريات في البلدة ربما لم لا فهو محام وذو علاقات واسعة.

استطعت تامين المبلغ قبل مرور اسبوع وغادرت قاصداً مكتب ذاك المحامي الشهير وبالفعل استلم مني المبلغ وكتب وثيقة شراكة تربطني بشخص كان يحضر تلك الجلسة وكان قد قدمه لي على أنه الوسيط بيننا وبين الرجل مالك تلك القطع لا اخفي عليك لقد هدأ بالي بإمتلاك تلك الوثيقة فبذلك أضمن حقي على الأقل في المبلغ الذي أنقدته إياه "

- هل تمت تلك الصفقة؟
- لا طبعاً .

- لم تقولها بهذه البساطة؟
- نعم لأن هذا ماحدث .
- كيف ؟
- لقد سافرنا بعد يومين إلى منطقة في ريف العاصمة اشتهر قاطنوها بعمليات التهريب فهي منطقة حدوديه استقبلنا الرجل في منزله وبعد أن قام بما يمليه عليه واجبه من فروض الضيافة ومن بعدها غادر على ان يعود ومعه تلك القطع .
- هل قمتم بتسليمه المبلغ قبل حصولكم على مبتغاكم ؟
- نعم ولم نعطه المبلغ إلا بعد أن أحضر لنا بضع قطع.
- وسلمنا أياها من باب التاكيد على مصداقيته
- وهل عاد؟
- كلا
- كيف وأين اختفى؟
- بعد فترة من الزمن عاد ولده الاكبر والذي كان قد رافقه في رحلته تلك وقال:

" لقد تعرضنا لخيانة حيث قامت مجموعات مسلحة بالسطو على قوافل التجار والمهربين باختطاف أبي والنقود وتركوني حراً كي أنقل لكم الخبر ."

- ومن هم أولئك المسلحون؟

- تقوم في تلك المناطق مجموعات مسلحة بالسطو على قوافل التجار والمهربين من غير أبناء المنطقة ويحتجزون الأشخاص لمقايضتهم بمبالغ مالية أو أشخاص مفقودين لهم
- وأخيراً ما الذي حدث ؟
- لقد خسرت كل ما قدمته من مال .
- والعقد الذي كان بحوزتك ما الذي فعلته به.

لم أستفد منه كونه عقد شراكة على صفقة تجارية وعندما واجهته بذلك امام القاضي تملص بحجة أن البضاعة قد تم السطو عليها على أحدى الطرق وهي الشاحنة التي كانت تنقلها وقد أثبت ذلك بمحضر رسمي كان قد نظمه في إحدى مخافر المنطقة.

ونحن في هذه الحالة حضر شخص تربطني به علاقة قديمة وقد تفاجأت بأنه هو كذلك على علاقة بمرافقي بادرنا قائلاً

- بمن تستخدمون مشارطكم.
- بصاحبك
- عليوه المحامي؟
- نعم قالها مرافقي .
- أراك تلقيت الأمر ببساطة كمن سمع كلاماً بديهياً
- نعم لانك لا تعرف هذا الرجل جيداً
- تربطني به علاقة عادية ولم أحشر انفي بمتعلقاته يوماً.

- إذاً اسمع الآتي وهذا غيض من فيض:

لقد قرر أن ينشئ مشروع دواجن وطلب من معارفه مشاركته وبالفعل فقد فقد تقدم اكثر من شخص وقدم له المال واشيدت الابنية وجهزت المزرعة وتم تكليف شخص من قبله بادارتها على أن تتم المحاسبة كل ثلاثة أشهر في اجتماع يحضره الجميع تم ذلك وأقلع المشروع وسار كل شيء على احسن مايرام مادياً ومعنوياً مرت فترة غير قصيرة كان الشركاء خلالها قد أطمأنوا فتقاعسوا عن حضور الجلسات استغل ذلك بشكل جيد فصارت عمليات التلاعب في الحسابات تتم بدهاء ليظهر المشروع بانه ينتقل من خسارة لأخرى وتحت حجج عدة وكلها قانونية الأمر الذي أثار الريبة بين الشركاء الذين تداعوا لفض تلك الشراكة وكان بالطبع جاهزاً لذلك من كل النواحي.

انتقلت الملكية العامة للمشروع إليه بعد أن قام بانقاد كل الشركاء ثمن حصصهم بسعر قرره هو ولإلحاحهم وحبهم في فض تلك الشراكة فقد وافقوا متحملين خسائر بسيطة غضوا الطرف عنها مقابل راحة انفسهم وخلاصهم

هززت رأسي استغراباً ..

- تفاجأت أليس كذلك ؟!
- نعم (قلتها له).
- اسمع التالي كي لا تفاجأ لاحقاً .

- أسمعنا ما عندك ..

- بعد أن تسلم ذاك المنصب الحزبي كلّف بالأمور المالية لذا صارت كل إيرادات ذاك الحزب بين يديه وما إن صار المبلغ يثير الغرائز ولصدمته تلك التي فقد فيها حلمه بالمنصب السياسي الرسمي قدم استقالته من الحزب وللقوانين المرعبة لا يوجد موادٌ قانونيةٌ تخول المقيمين على أي حزب يرخص رسمياً الإدعاء على أي شخص من أفراده لأي سبب كان والعقوبة به الوحيدة هي قيام الحزب بفصل العضو المخالف وتلك اقصى الجزاءات.

استثمر المبلغ في تطوير مزرعته ودخل شريكا في عدة مشاريع مع أشخاص جدد كان مصيرهم ومصير نقودهم كسابقيهم.

قبل وفاة زوجته ببضع سنيين وخلال الفترة التي وقع الشقاق بينهما وتلافياً لهذه الكارثة قام بهفوة من المستغرب أن يقع بها بالتنازل على ملكية المنزل و المزرعة لزوجته قانونياً، و بذلك صارت المتحكمة في كل ذلك انعكس ذلك على حياتها وعلاقتها به لدرجة قامت بعزله نهائياً وتركه يعيش مفرداً وحيداً إلا من بعض الاصحاب الذين كانوا يترددون عليه بين الحين والآخر.

وبعد أن فارقت زوجته الحياة تقاسم أولاده تلك التركة حيث نال هو نصيبه الشرعي وكان ذاك الجزء من

المنزل والذي يحوي بضع غرف كانت قد بنيت قبل أكثر من سبعة عقود من الزمن ..آوته هو وزوجته اللاحقة حيث يعيش على أطلال الماضي لكنه لم يزل على عهده من حيث ذاك التحفز لاصطياد اي مغفل قد يقع بين يديه.

(رسالة من ميت)

وقف علي متوجساً امام باب المحترف الفني الذي كان يتلقى تدريباته على فن الرسم الزيتي هو وكل من اصدقائه ممن لهم نفس الميول . صمت لبرهة وحدث نفسه قائلاً:

" كيف أدخل مكاناً كان قد شغله ذاك الفذ لمدة طويلة ؟ وممن سأتلقى التوجيهات؟ لا أدري ... "

وهو في حالته هذه حضر بعض من زملائه وكانا شابين وفتاتين تتشحان بالسواد.

انبرت سميه الأجرأ بين الحاضرين:

- لم لا تفتح الباب؟
- انا ...نعم سأفتح ...

فتح الباب وكانت اول من تخطى عتبة المحترف تشجيعاً لزملائها الذين ولجو المكان خلفها بهدوء .

أنارت المكان ، وكان كما تركوه قبل أسبوع منذ آخر جلسة تدريب جمعتهم بمعلمهم.

وقف الجميع رهبة وبصمت غلف كيانهم إجلالا خاشعا لكل ما تقف عنده زاوية أبصارهم التي انبرت لتسيطر على كل اعضاء أجسامهم

تغلبت سمية على الجيش الهادر داخلها وأطلقت للسانها العنان قائلة:

علينا ترتيب المكان ليظهر بحلّةٍ كان معلمنا يفضلها كيف لا والزوار من محبيه سيتوافدون تباعاً كلٌّ حسب

علاقته به عندها تشجع علي وساندها بالرأي مبدياً استعداده الامر الذي انسحب على الجميع حيث توازعوا الأدوار فيما بينهم.
وبينما كان علي يرتب أوراقاً وبعض الحاجات من متعلقات المعلم والتي كانت ملقاة على مكتب قديم الطراز طغى عليه لون الخشب المعتق.
فتح الدرج الأول وقام بتنسيق وترتيب محتوياته، ثم أنتقل إلى الدرج الثاني، والثالث، ولما وصل إلى الدرج الرابع فتحه فوجده يحوي صندوقٍ صغيرٍ مصدفٍ بعناية فائقة.
حمله بيديه وجلس على كرسيّ نشر على مسنده صدريه العمل البيضاء التي اعتاد المعلم أرتداءها أثناء عمله.
قلب محتواه فوجده يحوي حاجات صغيرة خاصة بالمعلم .. غليون ، علاقة مفاتيح، ساعة بسلسلة كلها موضوعة فوق رسالة مختومة بإتقان.
حملها وقلّبها ليجدها تحمل عبارة كتبت بخط رقعي ((عزيزي اهتم بما فيها))
وبداعي الفضول قام بفضها واخراج ورقة طويت ثلاث طيات من داخلها .
فتحها وبدأ بقراءة ما فيها وكان ما يلي :
اكتب رسالتي هذه وانا أستعد لإنهاء مشروع لوحه فنية بالطول الكامل لملكة بريطانيا، والتي كنت قد كلفت

بها من قبل أحد أمراء الخليج ليقدمها لها بمناسبة اليوبيل الذهبي لتسلمها العرش.
وكان ذاك الامير قد كلفني سابقاً برسم عدة لوحات لشخصيات سياسية واجتماعية عالمية، وكان عائد تلك اللوحات يموّل محترفي هذا ويسدّ معظم متطلباتي الحياتية لأنّ مثل هذا التكليف يتمّ بفترات متباعدة وكانت لوحاتي تنال الرضا إن لم نقل الإعجاب .
وأنا كبقية من أمتهن مثل هذه المهنة من الرسامين والنحاتين والمثّالين كنا ننجز ما يطلب منا على أكمل وجه والشكر لمن مول وقام بالإهداء.
وبعد مرور أكثر من عقد من الزمن النتيجة الملموسة كانت وبكلّ أسف لا شيء، وبالأخص من الناحية المالية، إلا من بعض الإطراء الذي كنت ألاقيه عندما احضر مؤتمراً أو تجمعاً أدعى إليه من باب رفع العتب لا اكثر.
بالمحصلة أحسّ بأنني لم أنجز شيئاً.. لا أدري !هل أنا فاشل أم أن الظروف بشكل عام تعاكسني ..لا أدري إلا انني وفي قرارة نفسي أحسّ بالخذلان خذلان من هم على نفس شاكلتي ممن تعرضوا لصدمات كانوا يحسبون أنفسهم بعيدين عنها، وبالأخص عندما أصيبت زوجتي ورفيقة عمري بذاك المرض المميت حيث لم أجد ولا حتى جهة واحدة تقف إلى جانبي وتعينني على مصابي
وبعد أن خسرت نصفي الرقيق اللطيف لم أعد أحس بذاك الشعور الرائع الذي كنت أعيشه إبان حياتي

الماضية تجاه كل اولئك المتنفذين الذين استولوا على الحكم وتوارثوا عروشهم أبا عن جد وبعثروا تلك الثروات في مواخير فجورهم.
لذا قررت ان أنحو منحىً آخر في حياتي يعاكس كل ما كنت أؤمن به و أمارسه طيلة الفترة التي خلت .
وأول ما فكرت به هو أن أقوم بضرب القيمة الشرائية والتشكيك بقطع العملة المتداولة في كل البلدان التي لم تزل تمارس نفس التصرفات ومن بعدها عملات تحكمت بمصائر العالم وصارت معياراً لكل موازين التقدم والتطور والتصنيف.
وذلك عبر تطبيق كل تقنيات هذا الفن السامي والراقي في نحت وتصميم كليشات تنسخ من خلالها تلك العملات بدقة متناهية يصعب كشفها إلا عبر أجهزة متطورة جداً لذا اهيب بكل من يريد التعاون معي من تلامذتي وغيرهم ممن يمتلكون تلك المهارة أن ينضموا لهذا المشروع الذي سيكون بمثابة الضربة ما قبل القاضية.
عسى أن يصحوا ضمير أولئك وإن كنت أشك في ذلك وحتى لو لم أستفد شيئاً لانه
((لم يعد لدي ما أخسره)).

(رسالة من ميت 2)

الوقت عصراً وكانت عين السماء التي بدا النعاس والتعب يظهر عليها من خلال حمرة بدأت بالازدياد داخلاً حتى وصلت إلى البؤبؤ فصارت كجمرة أنهكها اللهب

كان سامي يقود دراجته النارية وهو شارد الذهن سمع صوتاً من جانب الطريق وكان لامرأة تنادي على ولدها .بدون تفكير التفت صوب الصوت وما إن أعاد رأسه حتى فوجئ برجل يرتدي بدلة عمل زرقاء يعبر الطريق فصدمه وسقط الاثنان على الأرض .

أغمي على سامي لأن الصدمة تلقاها على رأسه اما الآخر ويدعى ممدوح فقد حمله بعض الاشخاص ووضعوه على الرصيف ريثما تحضر سيارة الاسعاف التي تم استدعاؤها عن طريق أحد المارة وعبر جواله وكان آخر قد طلبت شرطة النجدة

حضرت السيارتان وكانت سيارة وسيارة الشرطة قد وصلت أولاً وبعد عدة أسئلة روتينية من قبل رئيس الدورية لبعض الحاضرين أمر بنقل المصابين إلى المشفى.

سارت سيارة الاسعاف وتبعتها سيارة الشرطة اما الدراجة فقد تم نقلها إلى مركز الشرطة برفقة أحد العناصر.

في المشفى تم إدخال المصابين إلى قسم الاسعاف وبعد الفحص الدقيق من قبل الأطباء المناوبين تقرر إرسال سامي إلى قسم التصوير الشعاعي لمعرفة درجة إصابته وبعد التأكد من أن لا كسور ظاهرة تقرر وضعه للمراقبة خشية حدوث نزيف مفاجئ.
أما ممدوح وبعد أن أرسل إلى قسم العظمية تمّ تثبيت الكسر الذي أصاب ساقه بالجبس وأُودع بعدها في غرفة أيضاً للمراقبة.
سامي كونه المسبب في الحادث تمّ وضعه في غرفة تخضع للحراسة حتى ينجلي الأمر.
وما إن صار في سريره حتى أتاه أحد رجال الشرطة وقيده برجل السرير وغادر بعد أن أَوكل مهمة الحراسة لأحد العناصر، وفي الوقت ذاته توافد أهل كلا المصابين للأطمئنان عليهما، وكان أول الواصلين سعاد زوجة سامي التي دخلت واللهفة بادية عليها وبعد جدال طويل مع الحارس تمكنت من الدخول إلى غرفة سامي واطمأنت عليه وغادرت على أن تعود في اليوم الثاني.
أما ممدوح فكان هو وزواره بحاله أفضل إذ كانت حركتهم أسهل لأنه هو المجني عليه.
مساء حضر رئيس المخفر ومعاونه لتحرير ضبط بالحادثة حيث استجوب سامي مستعلماً عن كل التفاصيل ومن بعدها غادر إلى غرفة ممدوح وقام بالشيء ذاته وبعد أن تأكد من أن لا نية عند ممدوح بإقامة ادعاء على سامي ختم الضبط واعلم سامي بالامر الذي وقع عليه كنسمة باردة رطبه في يوم صيف قائظ.
حرض هذا الموقف لدى سامي كوامن كانت شبه نائمة.

بعد أن غادر الزوار وقام كل الاطباء ومعاونوهم بواجبهم أطفات أنوار الممرات وبقي شيء من الإنارة الخفيفة تمكن العاملين هناك من الحركة.
وبينما كان سامي يغط في نوم عميق فجأة ينشق الجدار المقابل ويظهر فاضل وهو يشمر عن ساعديه ويقترب من سامي الذي فزع لرؤيته اقترب أكثر حتى صار فوق رأسه ومد يديه محاولاً خنقه بكل شده وسامي يستنجد ويتخبط ولكن لا حياة لمن ينادي.
يستيقظ سامي فزعاً يتعوذ ويبسمل ويشرب قليلاً من الماء ويجلس في السرير محدثاً نفسه
إلى هنا تلحق بي يا أبن الحرام لم أصدق نفسي كيف تخلصت منك وبعد أن هدأت أعصابه قليلاً عاد واستلقى طلباً لنوم عز حضوره.
في منزل سامي كانت سعاد تطعم اولادها وتتحضر لزيارة زوجها وبينما هي منهمكة بكل ذلك تتالت عليها الاسئلة من اولادها عن ابيهم ومتى يعود.
تدخل سعاد غرفة سامي بعد أن استأذنت الشرطي وتسأله عن احواله يجيبها أنه بخير لولا ذاك الحلم الذي راوده ليلة امس,
تتعاطف معه مهدئة إياه قائلة
انت رجل حساس وهذا نتيجة لما أنت فيه لأنك تسببت بأذية شخص لا ذنب له سوى عبوره في ذاك الوقت
وبعد أن تطمئن على كل أحواله تغادر
مساءً حضرت سعاد مرة ثانية برفقة ولديها اللذين انكبا على والدهما ثم ما لبثا أن ابتعدا جزعاً لرؤيتهم القيد في رجله صمتا ولم يجد كلا الوالدين ما يقدمان لهما من

تفسير لذا عمدت سعاد على تغيير مجرى الحديث موجهة الاسئلة إلى زوجها.

- كيف أمضيت يومك هل شعرت بالملل.
- قليلاً
- حسناً قالتها وهي تجهز الاولاد للرحيل هل احضر لك شيئاً يوم الغد.
- لا شكراً اعتني بنفسك وبالأولاد.

حضرت الممرضة وناولته وجبة الدواء الخاصة به وبعد أن أتمت عملها غادرت الغرفة بعد أن أطفأت الضوء بالغرفة حيث اكتفى سامي بالضوء الخافت المعلق فوق سريره.

سرح قليلاً ثم ما لبث أن غط في نوم عميق وماهي إلا لحظات حتى انشق الجدار وخرج منه فاضل وفي يده حبلاً وصنع إسورة وانشوطة . أمسك حلقة الحبل بكلتي يديه واقترب من سامي محاولاً وضعها في رأسه وما إن صارت حول رقبته وقف والقى طرف الحبل على زاوية معدنية خصصت لتركيب جهاز مراقبه وبدأ يشد الحبل وكل ذلك وسامي جامدٌ فاغرٌ فاهه صامتٌ صمت الأموات وما إن شد فاضل طرف الحبل أكثر حتى بدأ بالصراخ وهو يحاول وضع أصابعه بين الحبل ورقبته إلا أن فاضل لم يرد عليه وبعد برهة قصيرة أوقف الشد وقال له :

- اعترف بما فعلته وإلا سأقتلك.
- لن أعترف أنت ميت ميت.
- لن تعترف!! خذ إذاً.

وشد الحبل بقوة أكثر صرخ سامي صرخة قوية وصل صداها إلى الشرطي المناوب الذي اندفع داخلاً اشعل

النور ليجد سامي يتلوى في فراشه وهو يمسك برقبته بكلتا يديه استدعى الممرضة التي تأكدت من حالته فأعطته حقنة مهدئة وغادرت بعد ان أطمأنت على حاله.

صباحاً حدث سامي نفسه قائلاً .

" لم اتخلص ابداً، لقد قتلته وحضرت جنازته ولم يزل يلاحقني .لقد نغّص علي حياتي في حياته وبعد موته."

دخلت سعاد غرفة سامي بعد أن انهى الاطباء جولتهم الصباحية .

كيف كانت ليلتك قالها:

- جيدة لولا ذاك الحلم المزعج .
- راودك مرة اخرى؟!
- نعم وبشكل أقسى هذه المرة.
- فسر لي إياه عسى أن نفهم شيئاً عمّا يحصل ..
- كابوس عادي ..... قالها متهرباً.
- على كل حال هذه أمور تحصل كثيراً في ظروف كالتي تمرّ بها
- ربما ، كيف الأولاد؟... قالها مغيراً مجرى الحديث.
- بخير وينتظرون عودتك.
- جيد هل قمتم بزيارة الشخص الذي صدمته.
- نعم وكانوا في غاية اللطف.
- إذا الأمور تسير نحو الاحسن.
- نعم .. قالتها وهي تغادر.

ليلاً وبعد أن تمّت كلّ الإجراءات أطفات الأنوار انشق الجدار وظهر منه فاضل وكان هذه المرة يحمل بيده عصاً دقّ في رأيها مسامير من كل الجهات .
تململ سامي وبدأ بالغمغمة التي تحولت إلى صراخ كلما اقترب فاضل أكثر.
فاضل: ألا تريد ان تعترف بفعلتك؟
سامي:لن اعترف قالها بشيء من الحدة المغلفة بالفزع.
أقترب فاضل وضربه على بطنه بالعصى ، صاح سامي مستنجدا من شدة الألم ، دخلت الممرضة برفقة الشرطي وكانت قادمة من الجانب الآخر من البهو.
هداته واستفسرا عن سبب صراخه أشار لها بيده على بطنه فحصته ولما لم تجد ما يريب طلبت منه الاسترخاء والنوم وغادرت .
صباحاً.. وبعد ان تناول إفطاره ووجبة دوائه حدث نفسه قائلاً هذا لن يتركني بحالي ولكن لن استسلم وهو ميت وانا حي وهذا هو المهم
ظهراً دخل ممدوح غرفة سامي وبادره قائلاً

- انت الأخ سامي الذي صدمني
- وانت السيد ممدوح – حمداً لله على السلامة لا اعرف كيف اعتذر منك واشكرك على كرمك وسعة أفقك وانا من هذه اللحظة أضع نفسي في خدمتك وهذا رقم هاتفي اتصل بي في أي وقت ودعنا نتواصل
- إن شاء الله والآن إلى اللقاء
- مع السلامة قالها وهو يحدث نفسه هذا صنف من الناس نفتقده في هذه الأيام.

ليلاً كان الضوء خافتاً في الغرفة وسامي نائمٌ وما لبثت أن أخذت حركات جسده تتواتر وتنفسه أيضاً.
وفجاة يفتح الباب ويدخل فاضل وفي يده مقص حديد له ذراعان طويلان ويقترب من سامي وهو يقول

- الا تريد ان تعترف بأنك قتلتني ظلماً
- لن اعترف
- هكذا أذاَ !
- نعم وافعل ما تشاء.

اقترب فاضل أكثر ووضع قدم سامي بين فكي المقص وبدا يضغط

- ما لذي تفعله يا مجنون
- اعترف وإلا سأقطع كل دقيقة قطعة من رجلك
- مالذي تريده بالضبط
- اعترف خطياً بما اقترفت يداك
- ماذا ستستفيد
- أريد هذا لاثبت للعالم بأنك ظلمتني وظلمت زوجتك
- هي نعم أما أنت فلا
- كيف
- لانك دمرت حياتي وصرت كالغيمة السوداء فوق رأسي أينما اتجهت أجدك
- والآن الا تريد ان تكتب
- لن اكتب

عندها ضغط فاضل على ذراعي المقص بكل قوة صرخ سامي مستغيثاً واستيقظ ولكن هذه المرة لم يسمعه احد
جلس في سريره وحدث نفسه قائلاً:

هذا لن يتركني لذا يستحسن ان أنفذ له رغبته وانهي هذه المشكلة

ظهراً حضرت سعاد، ولدها الاكبر وسألت سامي :

- هل عاد وراودك ذاك الحلم مرة أخرى؟
- نعم وكل مرة على شكل أفظع من الذي سبقه .
- كما قلت لك أنت تعاني من تأنيب الضمير لذا وقبل أن تنام حاول أن تقرأ شيئاً من القرآن الكريم مما حفظته.
- معقول.. أريد منك أحضار بضع أوراق ومظروف رسالة .
- لم تريدها؟
- أريد أن أراسل دائرتي لأن أحد زملائي سيحضر غداً لزيارتي.
- لك ما تريد وغادرت.

في اليوم التالي أحضرت له ما طلبه وغادرت بعد ان أطمئنت على حاله ، بعد أن بات وحيداً جلس في سريره وبدأ يخط ما يلي :

"هذا الرجل حول حياتي إلى جحيم حقيقي، وأوصلني لمرحلة الفصام، إذ صار يلازمني وزوجتي كظلنا حتى المدرسة التي تدرس فيها زوجتي صار يداوم فيها بعد أن نقل نفسه إلى هناك فباتت تمضي معه من الوقت أكثر بكثير من الوقت الذي تقضيه معي وحتى حفلاتنا الخاصة صار يحضرها بدعوة أوبغير دعوة وصار يرتب أعياد ميلاد اولادي وعيد زواجي لم يسلم منه لذا قررت التخلص منه فهذه الدنيا لم تعد تسعني أنا وإياه معاً.

فكرت بطريقة لا يستطيع كشفها أحد، واهتديت مستلهماً بما فعلته اسرائيل بعرفات وقمت بشراء سمٍّ استحضرته من لبنان ودسسته في شرابه أثناء حفلة خاصة أقمتها في منزلي وقمت بدعوته ، وبعد تناول الشراب قمت بكسر الكاس وألقيته في حاوية القمامة بالشارع مع كل آثار الحفلة

وبعد يومين وبينما كانت أحدى القاطنات في البناية التي يسكن فاضل في ملحقها وهي تحاول نشر غسيلها اشتمت رائحة كريهة تصدر من غرفة فاضل استدعت جاراتها اللاتي طلبن الاسعاف والشرطة الذين حملوا الجثة إلى المشفى.

تنفست الصعداء عندما وصلني خبره الذي انتشر على أنه عمليه انتحار قام بها منهياً حياته سيطرت أجواء الكآبة على المنزل لأنه من زملاء زوجتي إلا أن الأمر عاد إلى طبيعيته مع مرور الوقت فبذلك تخلصت منه وإلى الأبد.

المقر بما فيه سامي

وفي اليوم التالي دخلت الممرضة غرفة سامي كعادتها حيث حدثته

- سامي هل انت نائم – لم يرد

هزته من كتفه فلم يتحرك أمسكت بمعصمه فوجدت نبضه متوقفاً عندها غادرت الغرفة مسرعة لتستدعي الطبيب الذي قام بفحص سامي وليتأكد هو الآخر من وفاته

أبلغت النيابة العامة التي كلفت مخفر شرطة المشفى بتحرير ضبط في الواقعة وأثناء تفتيش الغرفة عثرت

الشرطة على الرسالة التي ما إن قرأها رئيس المخفر حتى قال:
هكذا إذا يا سيد سامي هناك العدالة وأشار بيده إلى السماء ولتقل العدالة الوضعية كلمتها.

(رسالة من ميت 3)

حضر منذر إلى منزل كان والده قد أجره قبل بضع سنين لشخص وحيد كان يعمل موظفاً في إحدى قطاعات الدولة . وكانت قد وافته المنية قبل بضعة أيام. لقد مات وحيداً كما عاش طيلة حياته
فتح منذر الباب بمفتاح كان قد تسلمه من مخفر شرطة البلدة التي كان يعيش فيها المتوفي وكونه وحيداً ولا أقارب له لذا قامت عدة جهات خيرية بكل ما يتوجب من عملية دفن ومراسم عزاء وما شابه
دخل ليشاهد البؤس مكرساً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى بدءاً من الاساس القديم البالي وانتهاء بخزانة يخالها المرء بأنها ستسقط منها لمجرد أن يلامسها أحد .
أجتاز بضع خطوات فوق حاجيات كانت مبعثرة على الأرض نتيجة لتفتيش رجال الشرطة كما يحدث في العادة وبالاخص عندما يكون المتوفي لا أقارب له.
اسند منذر الخزانة بيده اليسرى وفتح الباب الأول بيده اليمنى ليجد خلفه حاجات كثيرة غير مرتبة ، دفاتر وبضع أحذية نظيفة مغلفة بأكياس النايلون

فتح الباب الثاني فوجد خلفه عدة رفوف كلها مليئة بالكتب الأدبية. روايات قصص مجلات عالمية تعنى بالأدب وفي الزاوية السفلى كان يوجد كتاب غلافه أنيق وبلا أي عنوان حمله وقلب صفحاته ليجدها تحوي رسالة مغلقة. قلبها ليقرأ ما كتب عليها فوجدها تحوي جملة واحدة ((أوصل ما بها))
عاد بالرسالة والكتاب القهقرى إلى حيث ركنت طاولة وكرسي عند الزاوية اليمنى ، مسح الكرسي والطاولة بمنشفه كانت ملقاة على ظهر الكرسي وجلس.
فتح الرسالة بتأن وأخرج منها ورقة كانت قد طويت عدة طيات فتحها فوجدها مملوءة بالكلمات ومرقمة من الاعلى 1-2

عزيزي من يقرأ هذا
أنا إنسان عادي ولدت في ظروف تشبه كل أبناء جيلي من محيطي في قريتي النائية هناك في أقصى الشمال
وبعد أن تجاوزت مرحلة التعليم الابتدائي والاعدادي حزت على الشهادة الثانوية من محافظة الحسكة ومن بعدها غادرت قاصداً العاصمة لاتمام تعليمي الجامعي حيث انتسبت إلى كلية الآداب قسم الفلسفة
وانا في السنة الثانية توفي والدي وفي العام الذي تلاه تبعته والدتي وكانا كل جذوري ، لأن أصل والدي من هناك حيث الجبال الباردة
اضطررت للعمل فمصدر تمويلي قد طوته يد المنون تخرجت من الجامعة فأنا لا احب مهنة التدريس تقدمت لمسابقة لدى احدى الوزارات وتعينت هناك موظفاً بمرتب مقبول كفاني عن العمل الإضافي .

مرت الأيام والسنون فشلت خلالها من استقطاب ولو انثى واحدة من مئات الموظفات والمراجعات لمكان عملي وبحكم التربية القيت كل ذلك على النصيب.
تقدمت لمسابقة لاختيار عدد يتم ايفادهم لاحقاً لدورة تدريبية خارج البلد وفزت بالمرتبة الأولى وتحدد موعد السفر وكان اليوم الذي شنت فيه اسرائيل الدولة الغاضبة عدوان حزيران ألغي السفر وعادت حياتي إلى وتيرتها.
من بعدها قررت اتمام تعليمي العالي عبر المراسلة حيث راسلت جامعة بيروت العربية وباشرت الدراسة واثناء تواجدي هناك لتقديم امتحاني قام ذاك العدو بالاعتداء على قادة المقاومة الفلسطينية اعتقلت هناك لأني كنت في نفس المكان تم فصلي من الجامعة وعدت إلى البلد بعد حوالي الشهرين كدت خلالهما أفصل من عملي لولا تفهم رؤسائي حيث تم اعتبار فترة غيابي اجازة خاصة دون مرتب. وبعد فترة من الزمن قررت أنا وبعض زملائي في الجامعة انشاء معهد لتعليم اللغات في إحدى ضواحي العاصمة وباشرنا العمل حيث تخرجت أكثر من دورة حازت على رضا جهات عدة.
فجأة اندلعت الحرب في لبنان وتمّ استدعاء معظم شركائي للخدمة الاحتياطية مما اضطرني لاغلاق المعهد لأنهم من ركائز التعليم فيه.
قبعت في الأرشيف الذي نقلت إليه بعد عودتي من لبنان والهموم ترهق كاهلي . وانا في حالتي هذه خطر لي ان أفتح إحدى هذه الملفات واتصفحها طلباً للتسلية.
وللصدف التي لم أكن أعرف وقتها إن كانت ايجابية أم سلبية اكتشفت أمراً كان قد خفي عني تماماً ألا وهو أن

هناك مبالغ كبيرة من المال كانت مودعة باسماء أشخاص كانوا قد فارقوا الحياة ولاورثة لهم سوى أقارب مقيمين خارج البلاد.
ولا امل في عودتهم
عندها تغلب الجانب السلبي من تكويني وفعل الدهاء الشيطاني لدي وقمت بتزوير شيكات باسماء اشخاص من هؤلاء المغتربين على شكل حوالات لاشخاص من دائرتي الصغرى والمعارف والاصدقاء وبعض من موظفي البنك.
صرفت تلك الحوالات وحاز كل منا على نصيبه. ترقت أوضاعي المالية وصرت من أصحاب الاملاك وأنا في زحمة هذه الحالة صادفت فتاة كانت قد شغلت كياني منذ أن رأيتها أول مرة حين تسلمت عملي الجديد.
تقربت منها طالباً وداً كنت أحسبه صار سهل المنال كيف لا و (الأشيا معدن) كما يقول أهل مصر تجرأت وفاتحتها وكانت الصدمة التي هزت كياني وذلك عندما ردت

- أنت تطلب مني هذا؟
- نعم
- الا تنظر إلى نفسك بالمرآة ؟

توقف الكلام ولم أستطع أن أنبث ببنت شفه وما أن غادرت حتى توجهت إلى مرآة كانت معلقة فوق المغسلة لأصدم للمرة الثانية صدمة أعادتني إلى واقعي رأيت ذاك الشيب الذي غزا راسي وتلك التجاعيد التي توضعت على كل تقاسيم وجهي هززت رأسي وعدت إلى حيث يقبع مكتبي مددت يدي إلى حافظة نقودي

وأخرجت بطاقتي الشخصية لأجدني قد تجاوزت الخمسين بقليل .
خلال هذه الفترة تمّ اكتشاف التزوير وتمّ إيداعي السجن لمدة ستة اعوام خسرت خلالها كل ما املك حتى عملي مصدر دخلي .

وبعد إطلاق سراحي قررت أن أتفرغ للمطالعة والغوص في بحر الكتب وقت فراغي بعد عودتي من عملي الجديد كعامل في مطعم علني أُأسس لوضع جديد أفتح من خلاله أفقاً يبقيني حياً بعد موتي
وها أنذا أكتب رسالتي هذه وسأحملها نصيحة لمن سيقرأها وتصله كلماتي
"عش الواقع في كل مراحل حياتك واعتبرها فرصة لا تعوض لأن الأحلام خلقت كي لا تتحقق"

تمت

أيار - 2015